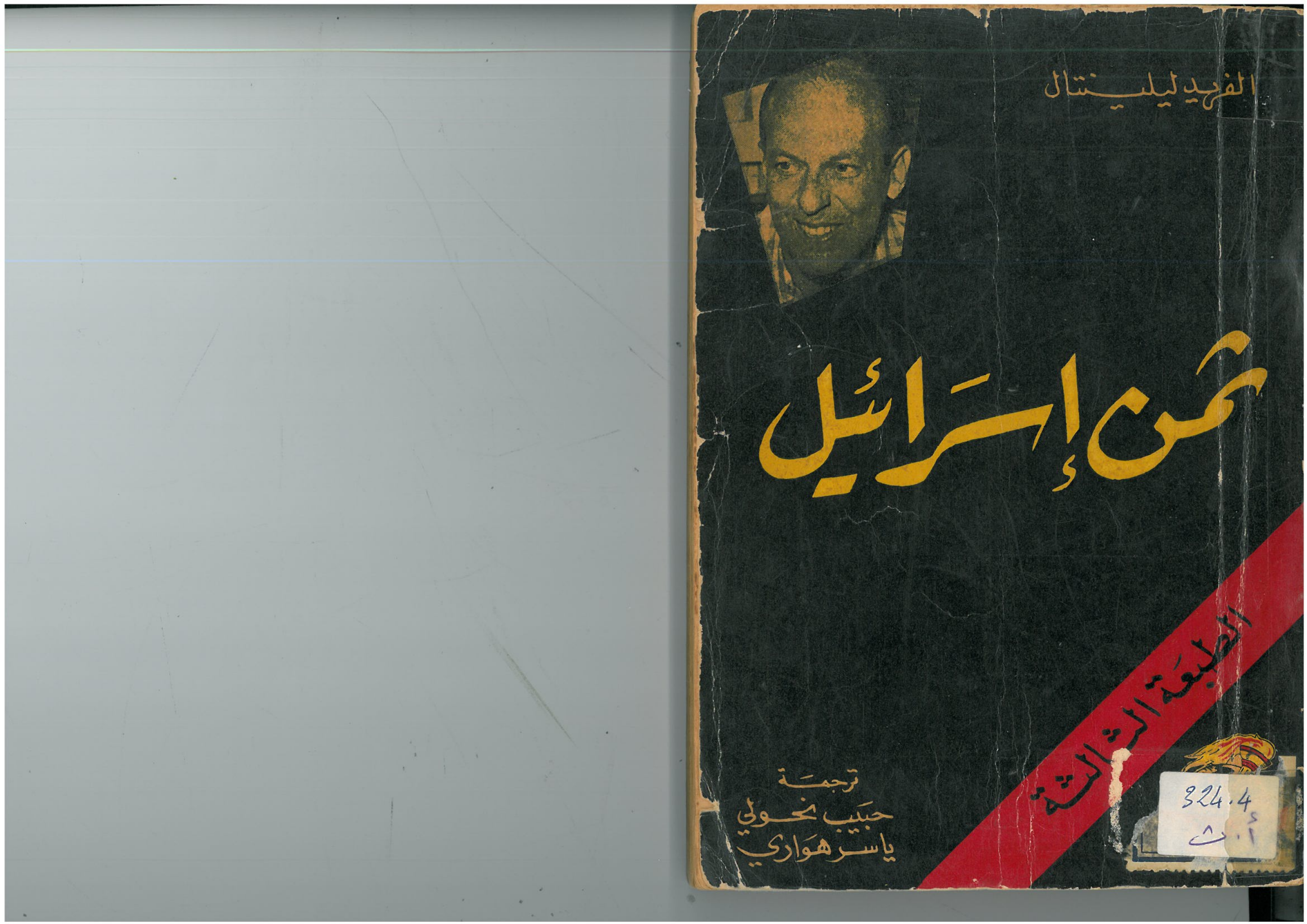

الفريد ليلينتال
ثمن إسرائيل
الطبعة الثالثة
ترجمة
حبيب نحولي
ياسر هواري
324.4

الفريد ليلينتال

ثمن اسرائيل

ترجمة

حبيب نحولي   ياسر هواري



سلسلة ثقافية شعبية



WHAT PRICE ISRAEL

BY ALFRED LILIENTHAL

تصميم الغلاف
للفنان نبيه جارودي

الطبعة الأولى ٢ شباط ١٩٥٤
الطبعة الثانية ٢٢ شباط ١٩٥٤
الطبعة الثالثة ١ ايلول ١٩٥٤

الفريد ليلينتال

*

- اميركي الجنسية، يهودي المعتقد .
- درس الحقوق في كلية كولومبيا وتخرج منها.
- عين في بدء حياته العملية بوظيفة كبيرة في نظارة الخارجية الاميركية .
- شغل وظيفة دبلوماسية كبيرة في الشرق الاوسط عدة سنين .
- ثم اصبح مستشاراً للوفد الاميركي في مؤتمر سان فرانسيسكو لهيئة الامم .
- عمل في الصحافة وساهم في تحرير عدد من المجلات الاميركيه الكبرى .
- كان لمقاله الذي نشر عام ١٩٤٩ في مجلة « ريدرز دايجست » بعنوان « راية اسرائيل ليست رايتي » صدى بعيد في جميع انحاء العالم.
- في عام ١٩٥٣ ، قام برحلة للدراسة والبحث ، زار خلالها عدداً من بلدان اوروبا والشرق الاوسط بما فيها اسرائيل .
- قام في صيف عام ١٩٥٤ بزيارة ثانية للبلدان العربية بدعوة من حكوماتها .

كلمة المؤلف

✡

في عام ١٩٤٨ ، ارتفعت في سماء فلسطين ، الارض المقدسة لاول مرة ، راية بيضاء تتوسطها نجمة زرقاء مسدسة الزوايا .

ارتفعت هذه الراية تعلن مولد دولة اسرائيل ، بحكومتها ، وسياستها الخارجية ، ولغتها العبرية ، وطقوسها الدينية .

وكانت نتيجة هذا المولد ، اضطراب حبل الامن في العالم الحر من منطقة الشرق الاوسط ، وبداية اضطراب حياة مئات الالوف من اليهود ، وتهديد اليهودية ... اقدم ديانات العالم الموحدة بالانهيار .

لان ذلك الصوت القديم الذي تردد في الاجيال والقائل : « في العام المقبل ... سنكون في اورشليم » لم يدع لاقامة دولة على اشلاء الانسانية ، وانما دعا لتوطيد اركان الديانة اليهودية .

ان اليهودية ، كدين ، كانت وما زالت غير مقيدة باعتبارات جغرافية بحتة . ولهذا استطاعت ان تكافح من اجل بقائها . فالدولة كيان زائل ، اما المعتقدات البعيدة عن التقلبات الزمنية ، فباقية

الى الابد ...

ان اليهودية هي ايمان ديني شامل ، يمكن لاي مواطن ان يعتنقها ، على العكس من الصهيونية ، فهي حركة وطنية متطرفة غايتها جمع يهود العالم كافة في وطن قومي مستقل .

ولكن هذه الحركة المتطرفة ، وما رافقها من ملابسات لم تجد لها صدى مستحباً عند غالبية يهود اميركا .

ورغم ذلك ، فما زال غلاة الصهيونيين في اسرائيل واميركا يتحدثون باسم الشعب اليهودي ، لا يفرقون بين اليهودي الصميم وبين الصهيوني المارق عن تعاليم اليهودية الصحيحة ، حتى غدت لفظة « يهودي » تعبّر عن معتقد الشخص الديني ، كما تعني جنسية معينة .

وهذا التشابك بين المعنيين الديني والسياسي ، هو الذي خلق البلبلة والفوضى .

ولنفرض الآن ، ان اسرائيل — وهذا محتمل وقوعه — انضمت الى الكتلة السوفياتية ، فليس عسيراً ان نتصور عندئذ ماذا سيكون عليه يهود اميركا من وضع حرج ..!

ومثل واضح على ذلك ما حدث اثناء توتر العلاقات السياسية بين الكرملين واسرائيل . فقد ظهر رد فعل هذا التوتر واضحاً في اميركا ، حيث اعتبرت الازمة الاسرائيلية ، وكأنها ازمة الشعب اليهودي بأسره .

والشيء الثابت ، انه اذا ظل الشعب اليهودي على اختلاف نزعاته يتحمل نتيجة اخطاء اسرائيل السياسية ، فان ذلك سيودي

به الى الدمار . لان سياسة اسرائيل الارتجالية من شأنها ان تؤلب الاعداء عليها ، وتقودها الى الهاوية عندما يأتي اليوم الذي تتخلى فيه اميركا عن مساعدتها .

ففي الولايات المتحدة مجال فسيح لاي فريق من الناس ، لأن يتكتل ويعمل بكل حرية من اجل غاية معينة . ولكن هذا التسامح الاميركي لن يكون له وجوده ، اذا ثبت ان عمل هذا الفريق يتعارض ومصلحة اميركا .

وهذا الكتاب قد كتب رغم معارضة عدد كبير من اصدقاء اعزاء على قلبي ، لاني اشعر ان عليّ واجباً مقدساً تجاه بلادي (اميركا) هو فوق كل واجب ادين به لاصدقائي .

وقد قوّى عزيمتي على الكتابة ، اعتقادي الراسخ ، بأن الجرأة لن تواتي اي اميركي مسيحي كان او يهودي ، للاقدام على كتابته .

وكان بعض مواد هذا الكتاب عرضة للاقاويل والمناقشات المتتالية . ولهذا ، ادركت ان الوقت قد حان لكي اصارح الجميع بما اعتقد انه الحق .

لقد تلقيت عدة نصائح بان اتحاشى ذكر ما قد يؤذي الشعب اليهودي ، ويهمني ان اعلن ان القصد من جهودي هذه ، هو خدمة اليهودية الاميركية فحسب .

وهذه الانتقادات التي تضمنتها صفحات الكتاب ، انما هي موجهة ضد القيادة الصهيونية المجرمة ، لانها حشرت اليهود في غمرة مشاكل عالمية ، وشحذت السلاح مجدداً في وجه السامية .

ولن اعبأ ابداً بالسخط الذي سينصب عليّ لانني كتبت هذا

الكتاب ، وجل ما اخشاه ان لا توفى الحقائق الواردة فيه حقها من الانصاف والتقدير ؛ مع ان القضايا الخطيرة التي عالجتها ... وما ينتج عنها من ذيول ... تستحق ادنى حد من التقدير واعلى حد من التفكير والبحث . وهذا ما ارجوه من قراء كتابي .

وابان الازمة الفلسطينية ، بين العرب واليهود عام ١٩٤٧ ، اتجهت انظار العالم ،الى وجهتي نظر متضاربتين : القضية الصهيونية والقضية العربية .

اما القضية الثالثة ، والخاصة باليهودية كدين ، فقد جرفتها تيارات المطالبين بالوحدة السياسية اليهودية .

ولقد كان للمقال الذي نشرته في مجلة ريدرز دايجست عام ١٩٤٩ تحت عنوان « راية اسرائيل ليست رايـتي » صدى بعيد عند الوف من يهود العالم الذين شاطروني رأيي .

فالى هؤلاء الاميركيين الذين يدينون باليهودية الصحيحة ، والى اولئك الاميركيين الذين منحوا ،عن طيبة خاطر ،مواطنيهم اليهود ، المساواة في الحقوق بدون تفرقة ، اقدم كتابي هذا .

الفرد ليلينتال

التاريخ المزدوج

*

في قبر مجهول . . يرقد الآن منشىء دولة اسرائيل الجديدة ، ولولا الشاعر المجهول الذي كتب المزمور السابع والثلاثين ،لما كان هناك من دولة يهودية اليوم . فبعد ان قوّض الاشوريون بنيان مملكة اسرائيل الشمالية ، عام ٧٢١ قبل المسيح ، ودمر الرومان ،الولاية اليهودية عام ٧٠ بعد المسيح ، بقيت فكرة دولة اسرائيل حيّة في كلمات هذا المزمور :

« على انهار بابل هناك جلسنا . بكينا ايضاً عنـدما تذكرنا صهيون . على الصفصاف في وسطها علقنا اعوادنا . لانه هناك سألنا الذين سبونا كلام ترنيمة ومعذبونا سألونا فرحـاً قائلين : رنموا لنا من ترنيمات صهيون . كيف نرنم ترنيمة الرب في ارض غريبة . ان نسيتك يا اورشليم تنسي يميني . »

من هذه الكلمات نبتت بذرة فكرة الصهيونية الوطنية، على الرغم من الدعوة السمحة التي تشبعت بها نفوس اتباع «يهوا» ـ الله

كما كان يدعوه اليهود – عندما اخذ نبوخذنصر اليهود سبايا الى بابل عام ٥٨٦ قبل المسيح ، إذ خاطبهم نبيهم « ارميا » بقوله :

« أبنوا بيوتاً واسكنوا واغرسوا جنات
وكلوا ثمرها . خذوا نساء ولدوا بنين وبنات
وخذوا لبنيكم نساء واعطوا بناتكم لرجال فيلدن
بنين وبنات ، واكثروا هناك ولا تقلوا .
واطلبوا سلام المدينة التي سبيتكم اليها وصلوا
لاجلها الى الرب لانه بسلامها يكون لكم سلام. »

هذه هي الفلسفة السمحة التي بنيت عليها اسس المعتقدات اليهودية ، ولم يوجه الانبياء العبرانيون عاموس وارميا وميخا واشعيا وايليا اهتمامهم ابداً لاستعادة السلطة الزمنية ، وانما حصروا هذا الاهتمام في دفع الظلم عن بني قومهم ؛ وحثهم على عبادة الله ، اله الرحمة ، والتمسك بأهداب الحق والفضيلة .

وقد كتب النبي اشعيا ،عام ٥٣٦ قبل المسيح، مؤيداً أقوال النبي ارميا ، ومتنبئاً بظهور المسيح المنتظر . وعبارته المشهورة: « في العام المقبل سنكون في اورشليم » لم يقصد بها قوماً معيناً ، بل عنى بها إحياء مملكة الله التي ستكون نواة لمجتمع امثل يسكنه رجال مثاليون .

وقد وصف هذا النبي في التوراة رسالة اليهودية بقوله :

«.. لان بيتي تجري وتسير اليه كل
الشعوب ، ويقولون هلم نصعد الى جبل الرب ،
الى بيت إله يعقوب ، فيعلمنا من طرقه ونسلك
في سبله . الخ ...

وتاريخ الشعب الذي جاء بعد بني يهوذا والذي عرف فيما بعد

باليهود ليس سوى استمرار للصراع بين العقيدة الدينية البحتة وبين الفكرة الرامية الى انشاء دولة وشعب مختار .

وعندما هزم الملك كورش الفارسي نبو نيدس آخر ملوك بابل ، سمح لسبايا اليهود (عام ٥٣٨ قبل المسيح) بالعودة الى ديارهم واعادة بناء معبدهم في اورشليم . وقد عاد يومذاك بعض اليهود ، ولكن غالبيتهم الساحقة فضلت البقاء في المنفى ، بعد ان ازدهرت احوالها ، وبعد ان اعتادت على ان تقيم طقوسها الدينية في غير معبد اورشليم ، في « الكنيس اليهودي » الذي اقامته هناك لهذه الغاية .

والذين عادوا الى اورشليم من الأسرهم الذين حملوا معهم فكرة الوطن القومي اليهودي وشعب الله المختار ... وقد ظلت هذه الفكرة تراود اذهان قادتهم الذين تولوا حكمهم في ظل الامبراطورية الفارسية وما عقبها من حكم اليونان والسوريين والرومانيين .

ومن ذلك .. ان الكاهن عزرا ، ومن بعده نحميا ، حظرا على اليهود الزواج من غير بني قومهم . وغدا المعبدعندها مركزاً للنشاط الديني والقومي معاً ..

ولكن الحكم الاجنبي المتواصل عرّض اليهودية لتطورات شتى ، فغيّر الكثير من تقاليدها الدينية ومنهج حياتها ... وكان للمدنية اليونانية المزدهرة تأثيرها العميق على اليهودية حتى في قلب اورشليم نفسها ، فقد فضل فريق من النشء اليهودي الجديد طرق الحياة اليونانية المتحررة على القيود الدينية المتزمتة ،وأعجب بالادب

والفن اليونانيين ، كما أعجب باللباس اليوناني الزاهي الالوان ..
فتولى تقريب وجهات النظر بين المؤمنين بالتوحيد من أتباع يهوا
وبين اليونانيين الوثنيين .

ولكن هذا الفريق من اليهود المتحرر ، تعرض لحملات عنيفة
من المحافظين الذين أصروا على التقيـــد بتعاليم الدين الواردة في
التوراة والتلمود تقيداً تاماً .. هذه التعاليم التي تشمل جميع مناحي
الحياة العامة : كالصحة ، والارث ، والنظافة ، والزراعة ، واللباس ،
والمأكل ، والعمل ، والتي تحتم على اليهودي تطبيقها والتقيد بها .

ومع هـذا الخلاف ، راح الفريقان يتبادلان التهم : المحافظ
يتهم اليهودي الآخذ بعادات اليونان بالخيـــانة ، والمتحرر يتهم
اليهودي المحافظ بالرجعية والجمود . ومع كل هذا ، كان مقدراً ان
يتضاعف عدد اليهود الآخذين باسباب الحياة اليونانية ، لولا الاضطهاد
الفظيـع الذي انزله انطوخيوس ابيفانوس الحاكم السوري على
فلسطين باليهود في ذاك الحين .

وتميزت السنوات الاخيرة من تاريخ اليهود تحت حكم الرومان
بطابع خاص ، اذ برز الخلاف على اشده بين فئة الكهنة الارستقراطية
المعروفة بالصدوقيين ، التي كانت تنادي بحرفيـة تعاليـم الدين ،
وبين فئة دينيـة اخرى معروفة بالفريسيين ، والتي كانت تساير
تطور الزمن .

وقد قيل ان السيد المسيـح نفسه كان فرّيسياً ، وعارض في
خضوع الروح للمادة .

واساء اليهود الى السيد المسيح على صراحته ، كما اساءوا من

قبل الى رسلهم .. لان اهتمامهم كان منصباً على الخلاص من النير
الروماني ، اكثر من اهتمامهم بالاصلاح الديني .. ولذلك ساروا
وراء عدد من ادعياء النبوة وهم في الحقيقة محترفو سياسة يتسترون
بستار الدين . وكنتيجة حتمية لظهور اولئك الادعياء ، قامت
عدة ثورات ضد روما ، قادها بعض المتطرفين من اليهود ، ولكن
الفشل كان مصيرها ، واسفرت عن كسر شوكة اليهودية وجعلت
من فلسطين مستعمرة رومانية .

وفي مطلع عام ١٣٢ ميلادية قام « باركوكبا » يسانـده
الحاخام « اكيبا » بحركة ثورية ضد الامبراطور الروماني هادريان
هدفها لمّ شمل اليهود تحت راية وطن قومـــي ، ولكن القائد
الروماني تينوس روفوس ، تمكن من اخماد الثورة ودخل اورشليم
بعد تدميرها ، واقام معبداً للاله جوبيتر مكان المعبد اليهودي
القديم .

وفي خلال الحكم الروماني الثاني ، شغل اليهود باقتتال حكامهم
على السلطة . فتعاقب على الحكم اسرة كوهين — كادول ، التي
كانت تدعي انها تنحدر باصلها من الكاهن الاكبر زادوك الذي
عاصر النبي صموئيل ، ثم جاء بعدها ملوك الهاسمونيين واخيراً
مجلس السنحدرين ..

وفي عام ٣٢٠ قبل المسيح ، عندما عاد القائد بطليموس الى
مصر بعد غزو فلسطين ، رافقه عدد كبير من اليهود واتخذ من
الاسكندرية موطناً له . . . وهـؤلاء اليهود الذين استوطنوا
الاسكندرية لم يفكروا اطلاقاً بالعودة الى اورشليم ، فقد استقروا

في موطنهم الجديد ، وتأثروا بالبيئة اليونانية المحيطة بهم كما تركوا بدورهم اثرهم في هذه البيئة بما حملوه من تعاليم دينية .

وابان الحكم الروماني على فلسطين ، كان عـــدد المؤمنين باليهودية في انحاء العالم ، اضعاف العدد الموجود في الارض المقدسة حتى ان كثيرين من اشراف روما اعجبوا ببعض تعاليم اليهودية وخاصة مبدأ التوحيد .

ولكن حركة التبشير اليهودية شلت مع ظهور المسيحية ، فقد تولت الديانة الجديدة الدعاوة لمبدأ التوحيد في العالم الوثني .. ومن بعدها تولاها الاسلام .

وكان بدء الاصطدام بين المسيحية واليهوديه ، ضربة قاصمة لحركة الاصلاح التي نادى بها رسل اليهودية ... فشلتها تماماً . كما دفنت رسالة اليهودية ، كديانـــة توحيد في الطقوس والتعاليم الجامدة فقط ...

وكان من جراء ذلك ، ان قام قادة اليهودية ينادون بالعزلة التامة ، ليتحرروا من رواسب التأثير اليوناني ، وبالتالي من مزاحمة المسيحية ، التي بسطت آنذاك نفوذها في كل مكان ، بما حصلت عليه من امتيازات وحرية واسعة لنشر ديانتها الجديدة .

وفي اوروبا الغربية كان اليهود يقطنون غالباً في احياء خاصة من المدن ، ليحموا انفسهم واموالهم من عالم لا يكن لهم اي صداقة . ففي اسبانيا مثلا كان اليهود يسكنون في احياء خاصة تحيط بها جدران مرتفعة ، تسمى « الغيتو » .

وقد وجد المسلمون ، عندما غزوا اسبانيا عام ٧١١ ، حليفاً

طبيعياً في اليهود ضد الاسبان المسيحيين ، اذ تمكنوا بمساعدتهم من التوغل في الاندلس والاستيلاء على شبه الجزيرة بكاملها .

ومقابل هذه المساعدة ، نال يهود اسبانيا حظوة عند الفاتحين العرب ، فتقلدوا مناصب رفيعة في دولة الاندلس الاسلامية ، كما مارسوا تجارتهم بحرية تامة ، ولمع منهم عدة اعلام في الادب والعلوم والفلسفة ، منهم الشاعر يهوذا بن حلفي والفيلسوف موسى بن ميمون وبفضل هؤلاء عاش اليهود عصراً ذهبياً في الاندلس .

ولكن هذا العصر الذهبي انهار عندما انتهى الحكم في الاندلس الى الخليفة الاموي المهدي الذي كان يكره اليهود والمسيحيين على حد سواء ، وكان ان خيّرهم بين اعتناق الاسلام او النزوح عن اسبانيا ، فأقبل فريق كبير منهم على اعتناق الديانـة الجديدة ، ورددوا الشهادة : « ان لا إله الا الله وان محمداً رسول الله .. » التي كانت تبدو لهم غير مختلفة عن مبدأ توحيدهم ..

واخيراً .. استطاع ملوك اوروبا المسيحيون اخراج العرب من اسبانيا ، فأبقوا في بادىء الامر عـلى احياء اليهود ، ولكن المسيحيين المتعصبين قاموا يطالبون بالثأر من « قتلة السيد المسيح » وانطلقت صيحة « قتلة المسيح » تتجاوب في كل ارجاء اوروبا وخاصة في مقاطعتي الكاستيل واراغون حيث لاقى اليهود اضطهاداً فظيعاً ، فاضطر فريق كبير منهم الى اعتناق المسيحية ظاهرياً ، لينجو من الاضطهاد والتعذيب . بينما ظل في اعماقه يهودياً يمارس طقوسه الدينية سراً في سراديب خاصة اقيمت لهذه الغاية . ولكن عندما راحت محاكم التفتيش تقوم بأعمالها الارهابية ضد المسلمين

واليهود والهراطقة ، اضطر فريـــق آخر من اليهود للالتجاء الى
شمالي افريقيا واميركا . حتى ان الفيلسوف موسى بن ميمون
نفسه لجأ الى مصر ..

واجتاحت بلدان اوروبا في هذه الحقبة من الزمن ، موجة
جامحة من اضطهاد اليهود ، وخاصة في اسبانيا والبرتغال . . كما
نالهم من الحكام الاقطاعيين شيء كثير من التعذيب والتضييق على
حرياتهم الدينية .. وهكذا غدا نظاماً متبعاً ان يعيش اليهود في
حي خاص محاطاً باسوار « الغيتو » .. فباتوا من جراء ذلك في
عزلة تامة ، ينكمشون على انفسهم ويمارسون طقوسهم الدينية
وفقاً لتعاليم التلمود في اضيق حدود .

واول يهودي سعى لتقويض اسوار « الغيتو » وتحـــرير
اليهود من انعزاليتهم ، هو موسى مندلسون ، الذي كان يعيش
حياة طليقة بين مواطنيه الالمان في برلين ، مع محافظته على ايمانه
اليهودي الصحيح . وكان من رأي مندلسوا .. انه لكي يتحرر
يهود العالم من انعزاليتهم وتعصبهم الديني الاعمى ،عليهم ان ينصهروا
في البيئة التي يعيشون فيها ويتعلموا لغتها . لان اليهود كانوا في
ذاك الحين يتكلمون اما العبرية او لغة خاصة بهم تسمى « بيدش »
(وهي لهجة مقتبسة عن الالمانية وتكتب بالحروف العبرية)

ثم كانت الثورة الفرنسية .. فاستفادت اليهودية كثيراً من
مبادئها التحررية ، وقام رجال الثورة : ميرابو، والاب غريغوار،
وسانت اتيان ، يقاتلون من اجل بسط ظل المساواة والاخوة
على الجميع . وقد أكد هـــذه المبادىء الثورية كليرمون تونيير

احد اعضاء المجلس التأسيسي بالكلمات التالية : « اننا لا نمنح شيئاً
لليهود كشعب .. ونمنح كل شيء لليهود كمواطنين .. » وهكذا
نالت اليهودية المساواة التامة في فرنسا .

وفي عـام ١٨٧٤ نال اليهود في انكلترا وهولندا والمانيـــا
وبلجيكا والدانمرك والنروج كامل حقوقهم الدينية والسياسية ..
بينما ظل يهود اوروبا الشرقية يكافحون لنيـــل حرياتهم الدينية
والسياسية اسوة باخوانهم في اوروبا الغربية .

ومن الروسيا .. اندلعت الشرارة الاولى للصهيونيـــة ،
كحركة سياسية تهدف لاستعادة مجد صهيون في ارض الميعاد ..
وراحت بذرة هذه الفكرة تترعرع في نفوس غلاة اليهود من ذوي
المطامع السياسية .

وفي عام ١٨٨٤ .. عقد اول مؤتمر صهيوني في مدينـــة بال
بسويسرا ، وكان الداعي اليه هو « تيودور هرتسل » حامل لقب
الصهيوني الاول . وهرتسل هذا كان صحافياً نمساوياً ، وكان قد
حضر محاكمة الضابط اليهودي «دريفوس» في باريس، وتألم كثيراً
للحملة المغرضة التي شنتها الصحف الفرنسية على دريفوس اثنـــاء
محاكمته .. لانه يهودي .. وكان ان وضع كتابه الاول عن
الصهيونية « دولة يهوذا » شرح فيه هدفها الاساسي ، كما وقف في
مؤتمر بال يدعو صراحة الى انشاء وطن قومي لليهود في فلسطين .
وقد استجاب لدعوته يومذاك فريق ضئيل من الشباب اليهودي
المتحمس ، فحمل الدعوة وراح ينشرها في الاوساط اليهودية في
اوروبا في بادىء الامر ، ثم في العالم الجديد .. اميركا . وهكذا

ظهر الى الوجود عدة منظمات سياسية تدعو للفكرة الصهيونية ، وتحث الشعب اليهودي على العودة الى فلسطين وتوقظ في اعماقه الشعور الديني والوطني معاً .

ومع ذلك ... ظل هناك مـن يقف في وجه الحركة الصهيونية .

ففي عام ١٨٨٠ كان عدد اليهود في اميركا حوالي ٢٣٠ الفاً ، هاجر معظمهم من اوروبا الغربية واسبانيا والبرتغال ، وكانوا يندمجون اندماجاً كليا في الحيـاة الاميركية ويتمتعون بنفس حقوق المواطنين الاميركيين . وفي عام ١٨٢٤ اقام اثنا عشر عضواً من المجتمع اليهودي ، عـلى رأسهم الصحفي تشارلستون هاربي ، صلاة دينية ، تلي قسم منها باللغـة الانكليزية ؛ وكانت غاية هذه الحركة المتحررة انشاء « بيت الوحيم » بيت عبادة مصغر شبيه بالكنيس ، وفي الصلاة الاولى التي اقيمت في هـذا المعبد وقف الدكتور غرستانوف بوزونيسكي يقول : « ان هذا الكنيس هو معبدنا ، وهذه المدينة هي اورشليمنا .. وهذه الارض الطيبة هي ارض ميعادنا .. اي فلسطيننا ... »

وبعد مرور اثنتي عشرة سنة على مولد فكرة هرتسل الصهيونية ، عقد المجلس اليهودي الاميركي اجتماعا اتخذ فيه قراراً بشجب كل محاولة ترمي الى انشاء دولة يهودية ، واعلن معارضته الشديدة للحركة الصهيونية السياسية مصرحا بان « صهيون » كانت حقيقة وطننا العزيز في الماضي .. ولكنها الآن ليست سوى ذكرى مقدسة وعزيزة عـلى قلوبنا .. وهي ليست محط آمالنا في المستقبل ..

لان اميركا هي ارضنا وصهيوننا .. »

وهكذا يبدو جلياً ان الصهيونية كانت بالنسبة ليهود اميركا الاولين ، حركـة سياسية غريبة عنهم . . حتى ان الجريدة اليهودية « الاسرائيلي الاميركي » لم تتورع من القول بان جميع الصحف اليهودية الصادرة في اميركا كانت تعارض فكرة الصهيونية معارضة عنيفة ، بل انها ذكرت في عام ١٩٠٤ انه ليس هناك اميركي يهودي واحد تجرأ للدفاع عن الصهيونية .

ففي ايام الامبراطورية البيزنطية مثلاً اعتبرت الطوائف غير المسيحية اقلية دينية وعوملت معاملة خاصة تتفق ومعتقداتها الدينية . بينما لم تعترف القوانين الاميركية الحديثة ، باكثرية تحكم ، واقلية تخضع ، وانما عاملت جميع المواطنين على قدم المساواة دون تمييز .

وعلى الرغم من ذلك .. فان بعض اليهود النازحين من اوروبا الشرقية حملوا معهم الى اميركا تقاليدهم وانعزاليتهـم ، وسعوا لتطبيقها في قلب اميركا ، فابتعدوا عن المواطنين الاميركيين وعاشوا في احياء خاصة بهم ، كما اعتادوا ان يعيشوا في اوروبا .

وفي هذه الاحياء المنعزلة .. وبين فئة اليهود المتزمنة وجدت بذرة الصهيونية تربة خصبة لنموها . في حين راحت حركة الاصلاح تكافح هذا التيار الجديد الجارف . . . تيار الحركة السياسيـة الصهيونية . وعندما أعلن وعد بلفور القاضي بانشاء وطن قومي لليهود بفلسطين تفاوتت حرارة التأييد له :

فان فئة من يهود اميركا المحافظة شنت حملات شعواء على هذا الوعد بينما قبل دعاة الاصلاح من اليهود بهـذه الدعوة ورحبوا

بالتعاون مع زعماء الحركه الصهيونية الجديدة منادين بجعل فلسطين ملجأ اميناً للجميع ومركزاً روحياً لليهودية .

اما غلاة الصهيونيين من اليهود فقد تشددوا في المطالبة بانشاء وطن قومي يهودي بفلسطين .

وهكذا ظل الصراع سجالاً بين الصهيونيين المتطرفين وبين المعتدلين من اليهود حتى كان عام ١٩٣٣ ، عندما شن هتلر حملته الاضطهادية التعذيبيه على اليهود في المانيا وبعض بلدان اوروبا ..

فانتهز زعماء الصهيونية هذه المناسبة ، وقاموا بحملة دعاية واسعة في الاوساط اليهودية في اميركا واوروبا ، وراحوا ينشرون خلالها فكرتهم الرامية الى انشاء الوطن القومي اليهودي في ارض فلسطين وكان طبيعياً جداً ان تلاقي هذه الدعوة ترحيبا واقبالاً من اليهود المضطهدين ، واذا بعدد المنضمين الى الصهيونية يقفز فجأة في اميركا الى حوالي ٥٩ الفا اي ما يعادل خمسة بالمائة من عدد يهود اميركا .

واكثر من ذلك .. فقد وقف عدد كبير من المنظمات اليهودية الى جانب الصهيونية يؤيدها في دعوتها لاستعادة فلسطين ..

وفي نهاية القرن التاسع عشر كان عدد اليهود في فلسطين كلها لا يزيد على خمسين الفا .. ولكن ما ان انقضى عامان على اعلان وعد بلفور حتى ارتفع هذا العدد الى ٦٥ الفا ، اي ما يعادل ٧ بالمئة من عدد سكان البلاد . وكانت نسبة السكان المسلمين في عام ١٩٢٢ تقدر بـ ٧٨ بالمائة ، والمسيحيين ١١ بالمائة ، ومثلهم من اليهود .. ولكن في العشر السنوات التالية ارتفع عدد اليهود حتى بلغ ١٢٠ الفا ..

والجدير بالذكر ان الغالبية العربية كانت منذ ستمائة سنة تعيش بسلام وطمأنينة ، وظلت طوال هذه المدة تتولى الاشراف على الاماكن المقدسة وتبشر بالاسلام كديانة توحيد الى جانب المسيحية واليهودية .

وكان هؤلاء العرب المسلمون يعتبرون فلسطين جزءاً من جنوبي سوريا الطبيعية ، حتى قام اخيراً فريق من يهود اميركا يجازف بالمطالبة بانتزاع هذا القسم من العالم العربي ..

لقد كان زعماء الصهيونية يدركون حقيقة اهدافهم عندما قاموا بحركتهم .. ولكن آلاف اليهود غير الصهيونيين لم يكونوا على بيّنة من هذه الاهداف ، ومع ذلك فقد قدموا المساعدات المادية والمعنوية للحركة الصهيونيه لتحقيق خطتها .. تلك الخطه التي قد تورد يهود العالم موارد الهلاك والدمار ..

ملجأ ام دولة ..؟

*

في مطلع الحرب العالمية الاولى ، انحاز فريق من قادة الصهيونية الى صف المانيا ، وراح يقاوم النظام القيصري في روسيا مقاومة شديدة فعالة ، اذ كان يعتقد ان المانيا ستخرج منتصرة من هذه الحرب ، وستمنح عندها الصهيونيين ارض فلسطين ، لينشئوا عليها دولة .

ولكن ما ان حلّ عام ١٩١٦ ، حتى شعر هذا الفريق من قادة الصهيونية بالندم على مسايرته لألمانيا ، بعد ان باءت بالفشل جميع مساعيه ومحاولاته للحصول على وعد من المانيا لانشاء الوطن القومي اليهودي .

وأدى هذا الفشل الى تحويل انظار قادة الصهيونية الى لندن ، فراحوا يبذلون المساعي الجدية في دوائرها السياسية حتى حصلوا على وعد بلفور المعلوم .

وقد قيل يومذاك ان بريطانيا تعهدت لليهود بموجب هذا الوعد « بموطىء قدم » في فلسطين ، ومقابل ذلك تعهد اليهود

بالوقوف الى جانب الحلفاء في صراعهم ضد المانيا ، كما اخذوا على عاتقهم ، بما لهم من نفوذ في دوائر الولايات المتحدة ، مهمة اقناع المسؤولين الاميركيين بدخول الحرب الى جانب انكلترا وحليفاتها .

والاعتقاد السائد ان موافقة بريطانيا على اعلان وعد بلفور لم يكن اقتناعاً منها بحق اليهود فحسب ، بل ان عدة اعتبارات سياسية وعسكرية حملتها على ذلك ، ومن هذه الاعتبارات ما له ارتباط وثيق بوضع قناة السويس المجاورة لفلسطين . كما صرح تشرشل في مجلس العموم عام ١٩٣٧ مشيراً الى وعد بلفور فقال :

« ان بريطانيا قد ضمنت هذا الوعد مقابل الخدمات الجلى التي قدمها اليهود لبريطانيا وحليفاتها ... »

اما النسخة الاصلية من وعد بلفور فقد احتفظ بها حاييم وايزمن نفسه وهي تنص على اعتبار « **فلسطين الوطن القومي للشعب اليهودي** »

وعندما وضع هذا الوعد موضع التنفيذ من قبل المسؤولين البريطانيين رأوا ان يدخلوا عليه بعض التعديلات حتى يأتي منسجماً مع السياسة البريطانية المعروفة بالغموض .

فجرى التعديل ، واصبحت العبارة المتعلقة بمصير فلسطين على الوجه التالي : « ... **والسعي لتهيئة فلسطين كوطن قومي للشعب اليهودي** ... »

كما جرى تعديل العبارة التالية « العنصر اليهودي » التي حاول وايزمن اثباتها في الوعد المذكور ، واستعيض عنها بعبارة « الشعب اليهودي »

وكذلك اضيف الى ذيل الوعد فقرة جديدة تنص « من

الواضح جداً انه لا يمكن القيام بعمل من شأنه المساس بحقوق العرب الدينية والمدنية في فلسطين » .

ومع هذا فقد لجأت السياسة البريطانية الى اساليبها الملتوية وراحت تعمل على تحقيق وعد بلفور ، بتشجيع الهجرة اليهودية الى فلسطين ، ومساعدة اليهود على استملاك الاراضي وبناء المستعمرات والمزارع ..!

وكل ذلك تمّ تحت الستار المعهود الذي اخذت تصرح به في كل مناسبة ، وهو : على شرط ان لا ينجم عن هذه الهجرة ضرر يمس حقوق السكان العرب المدنية والدينية .

وبعبارة اوضح ، فان قادة الصهيونية لم يكتفوا بما نالوه من وعد ، بل راحوا يكافحون في سبيل توطيد أقدامهم وجعل تلك الارض المقدسة ، بكاملها، ملكاً لهم وحدهم لاينازعهم فيها منازع .

ومما يذكر ، ان لويد جورج ارسل الى اللورد كيرزون قبل اسبوع من صدور وعد بلفور ، تقريراً يوضح فيه مهمة بريطانيا في فلسطين جاء فيه :

« ان مهمة الادارة الاوربية — غير اليهودية — في ارض فلسطين ترمي اولاً الى اقرار النظام والأمن وحماية الأماكن المقدسة المسيحية واليهودية والاسلامية على السواء .. ولذلك فهي تضمن لليهود ولغير اليهود الحقوق المدنية والدينية معاً . »

واستناداً الى ما تقدم ، لا يمكن ابداً اعتبار وعد بلفور او الانتداب البريطاني على فلسطين ، خطوة مباشرة لانشاء دولة يهودية في ارض الميعاد ، اذ ان يهود بريطانيا الذين وقفوا الى

جانب وايزمن في حركته ، امثال روتشيلد ومونتيفيوري ظلوا دوماً ، وقبل كل شيء مواطنين بريطانيين مخلصين ، لا يتخلون عن جنسيتهم البريطانية مهما كلفهم الامر .

كما ان تشرشل اوضح هذه النقطة بالذات عام ١٩٢٢ في كتابه الابيض اذ قال :

« ان انشاء وطن قومي يهودي في فلسطين لا يعني ابداً اقامة حكومة يهودية للتسلط على السكان العرب هناك ... فنحن لن نسمح لفريق ان ينتزع قسراً حقوق الفريق الآخر ... »

وقد حرصت بريطانيا في فترة انتدابها على فلسطين ان تتقيد ظاهرياً بسياسة المساواة بين جميع السكان ،ولكنها عمدت في نفس الوقت الى تنفيذ ما وعدت به اليهود .

هذا ،ولم يثر وعد بلفور مخاوف العرب ، الا بعد مرور عدة سنين ،لانهم لم يدركوا ما تخبئه لهم الصهيونية .ولا نكون مغالين اذا قلنا ان عدداً من المسؤولين البريطانيين والاميركيين اعتقدوا انه من السهل انشاء دولة يهودية في فلسطين ، اذا ما استطاعوا ايجاد اكثرية يهودية في البلاد مع مرور الزمن . هذا مع العلم ان عدد اليهود كان في عام ١٩١٩ ، لا يتجاوز عشر سكان فلسطين .

ولقد وجدت بريطانيا نفسها مضطرة فيما بعد ، محافظة على مصالح امبراطوريتها ، ان تتعهد للملك حسين بعدم اتخاذ اي خطوة من شأنها مس حرية سكان فلسطين العرب ، كما تعهدت بان لا تساعد شعباً على آخر للسيطرة على ارض فلسطين . والجدير بالذكر ان هذا التصريح صدر عن حكومة بريطانيا بعد اعلان

وعد بلفور ببضعة اسابيع ، وتولى نقله الى الملك حسين وزعماء العرب الكولونيل لورنس .

وعلى اثر ذلك ارسل القائد البريطاني هوكارث تقريراً الى المفوض السامي البريطاني في القاهرة شرح فيه نتيجة مباحثاته مع الملك حسين جاء فيه :

« ان الملك حسين لن يوافق على اقامة دولة يهودية مستقلة في فلسطين ... ومع انني كنت غير مكلف رسمياً بمباحثته، الا انني لمست منه اهتماماً كبيراً في معرفة مصير فلسطين ... »

كما ان لورنس ابلغ حكومته فيما بعد ان الملك حسين «لا يسعه مطلقاً الموافقة على انشاء دولة يهودية مستقلة في فلسطين ، ولكنه لا يمانع في هجرة اليهود اليها ، شرط ان تكون هجرة مقيدة . »

وقبيل نهاية عام ١٩١٩ أرسل الرئيس ويلسون «بعثة كراين» لاجراء استفتاء بين السكان في فلسطين وسوريا ولبنان من أجل تقرير مصيرهم .

وعندما عادت البعثة الى بلادها رفعت تقريراً قالت فيه :

« ان انشاء وطن قومي للشعب اليهودي «لا يعني جعل فلسطين دولة يهودية .. لان اقامة مثل هذه الدولة تعتبر افتئاتاً على حقوق السكان العرب الدينية والمدنية بفلسطين .. »

اما التعهدات التي تضمنها وعد بلفور ، والتي من شأنها المحافظة على عرب فلسطين وعلى اليهود غير الصهيونيين في العالم ، فلم تؤخذ بعين الاعتبار فيما بعد ، وكذلك كان مصير قرارات هيئة الامم المتحدة عام ١٩٤٦ .!

وعندما انتهت الحرب العالمية الثانية ؛ خلفت وراءها مشكلة انسانية قاسية ، هي مشكلة الاشخاص الذين نزحوا عن اوطانهم

هرباً من الموت الذي كان يلاحقهم به اعوان هتلر ، وقد كانوا خليطاً من سكان النمسا وبولندا وهنغاريا ورومانيا ، وهم ينتمون الى عدة أديان ومذاهب ، منهم حوالي نصف مليون كاثوليكي ، ومائة الف بروتستانتي ، وحوالي ٢٢٠ الف يهودي ، وكان مائة الف من هؤلاء اليهود محتشدين في معسكرات الاعتقال بالمانيا والنمسا وايطاليا ، بينما توزع حوالي ٥٠ الفا في بريطانيا و ١٢ الفا في السويد وعشرة آلاف في سويسرا .

كانت مشكلة ... وكان على الحلفاء المنتصرين ان يجدوا لها الحل ..

وبالفعل فقد كتب الرئيس ترومان في ٣١ تموز ١٩٤٥ رسالة الى رئيس الحكومة البريطانية كليمنت اتلي ، يقول فيها ان اصدار مائة الف بطاقة هجرة الى الولايات المتحدة قد يساعد على حل قضية مشردي اوروبا . وقد نشر نص هذا الكتاب السناتور غي جيليت بعد مضي ثلاثة اشهر من ارساله .

أما الحكومة البريطانية فقد اعلنت موقفها من هذه القضية في تصريح رسمي صدر في تشرين الثاني ١٩٤٥ قالت فيه انه لا يمكنها الموافقة على سياسة انتقال اليهود من اوروبا ، او الحؤول دون استيطانهم في البلدان الاوروبية ؛ دون تمييز في العنصر . لان وجودهم في تلك البلدان يساعد في اعادة بناء اوروبا وازدهارها .

ودعا رئيس الحكومة البريطانية في نهاية تصريحه الى اجراء تحقيق مشترك في هذه القضايا ، من قبل لجنة اميركية - بريطانية . فرحب الرئيس ترومان بهذه الدعوة ، بينما ثار زعماء الصهيونية

وقابلوها بالاحتجاج ووصفوها بانها « خيانة جديدة » لقضيتهم لن يخضعوا لنتائجها .

وعلى الرغم من ذلك ، تألفت بعثة التحقيق الاميركية – البريطانية في ١٠ تشرين الاول ١٩٤٥ ، وكانت مكونة من ستة اعضاء اميركيين ومثلهم بريطانيين ، وكانت مهمتها درس الظروف السياسية والاقتصادية والاجتماعية في فلسطين ، دراسة دقيقة ، على ان تولي عناية خاصة قضية هجرة اليهود الى ارض الميعاد وامكانية اقامتهم فيها . . وكان من مهمتها ايضاً درس وضع اليهود الاوروبيين ، لتحديد العدد الذي يرغب بالهجرة الى فلسطين او الى غيرها من البلدان خارج اوروبا .

وكان من بين اعضاء البعثة القاضي الاميركي جوزف هوتشيسون والدكتور فرانك ايديلوت مدير الدراسات العليا في جامعة برنستون ، وسفير اميركا السابق في ايطاليا وليم فيليبس ، وجيمس ماكدونالد الذي اصبح فيما بعد سفيراً للولايات المتحدة باسرائيل ، والنائب البريطاني كروسمان . وعقدت البعثة اولى اجتماعاتها في واشنطن في مطلع شهر كانون الثاني ١٩٤٦ ، واستمعت الى وجهات نظر ممثلين عن المنظمات اليهودية وعن المسيحيين والمسلمين ، ثم تتابعت اجتماعاتها في لندن ، بعد ان انبثق عنها عدة لجان فرعية كلفت بالطواف في انحاء اوروبا لدرس حالة اللاجئين فيها .

ثم عقدت البعثة عدة اجتماعات بعد ذلك في مصر بكامل اعضائها ، استمعت خلالها الى ممثلي الوكالة اليهودية – وهي المنظمة الرسمية

التي كان لها حق التكلم باسم يهود فلسطين – كما استمعت الى المنظمات والهيئات العربية . وقبل ان تنهي البعثة تحقيقاتها في بلاد الشرق الاوسط ، زارت لجنة فرعية من اعضائها عواصم سوريا ولبنان والعراق والسعودية العربية والاردن ، واستمعت الى آراء المسؤولين هناك في القضية الفلسطينية ، ومن بعدها انتقلت الى سويسرا فوضعت تقريرها النهائي الذي اذيع في واشنطن ولندن في وقت واحد يوم ٣٠ نيسان ١٩٤٦ .

واهم ما جاء في التقرير : « ان البعثة اوصت بمنح مائة الف من يهود اوروبا المشردين الذين قاسوا الاضطهاد والتعذيب في العهدين النازي والفاشستي حق الدخول الى فلسطين . . »

ويضيف التقرير : بان اليهود لن يسيطروا على العرب . وان العرب لن يسودوا اليهود في فلسطين ، لأن هذه الارض المقدسة لن تكون يوماً ، دولة يهودية أو عربية ، ولأن فلسطين ستبقى ارضاً مقدسة في نظر المسيحي واليهودي والمسلم . . ولهذا فلا يمكن ان تكون ارضاً يدّعي ملكيتها شعب معين او ديانة معينة . . »

ولكن هذه الحقائق لم ترق لزعماء الصهيونية ، فما كان للاعتبارات الانسانية أي شأن لديهم امام مطامحهم الوطنية السياسية .

والواقع ان الصهيونية لم تفكر يوماً من الايام بمعالجة قضية المشردين اليهود على انها قضية انسانية . . لان هدفها الرئيسي هو انعاش اليهودية الوطنية ودفعها الى انشاء هذا الوطن على اشلاء الانسانية .

وحقيقة اخرى ، اشار اليها تقرير البعثة الاميركية – البريطانية

وهي ان فلسطين لا يمكنها ان تحل قضية الهجرة اليهودية بكاملها ، وعلى اميركا وبريطانيا ان تعملا على ايجاد مساكن جديدة لأولئك المشردين في اوروبا .

وقد لاقى البند الاول من توصية البعثة ترحيباً حاراً في اوساط المنظمات اليهودية ، وهو البند الخاص بادخال مائه الف يهودي الى فلسطين ، بينما شنت هذه المنظمات حملات عنيفة على بقية ما تضمنته التوصية من بنود . كما كانت البعثه نفسها هدفاً لبعض هذه الحملات ، لأنها لم توصِ بانشاء وطن قومي لليهود في فلسطين .

وفي مطلع عام ١٩٤٧ قامت بريطانيا بآخر محاولة لتقريب وجهات النظر بين العرب واليهود وحمل الفريقين على التفاهم ، فوضعت اقتراحا عرضته على الفريقين كأساس للتفاهم ، وهو ينص على ادخال اربعة الاف يهودي الى فلسطين شهرياً ولمدة سنتين ، وبانتهاء المدة تنظم الهجرة وفقاً لقدرة البلاد على الاستيعاب . ولكن الوكالة اليهودية رفضت هذا الاقتراح ، بحجة انه يقيد حرية اليهود في الهجرة والاقامة في فلسطين ، وبالتالي في انشاء دولة لهم في ارض الميعاد .

وقد بذل الرئيس روزفلت جهداً ضخماً واهتماماً خاصاً لمساعدة مشردي اوروبا وانقاذهم من الشقاء الذي يعانون ، فاقترح ان تقوم كل دولة من دول العالم الحر ببعض واجباتها ، وتوافق على اسكان عدد من اولئك المشردين في بلادها ، دون تميز بين عنصر وعنصر ، او بين دين ودين .

واعتقد الرئيس الاميركي ان بالامكان انقاذ نصف مليون

مشرد على الأقل ، اذا تضافرت جهود العالم الحر ، وضمنت لهؤلاء المشردين ملجأ اميناً .

وتمشياً مع هذه السياسة الانسانية ، قصد موريس ارنست اليهودي ، وأحد المقربين الى الرئيس الاميركي ، لندن لمفاوضة المسؤولين البريطانيين ، فيما اذا كانوا يوافقون على احتضان مائة او مائتي الف من اولئك المشردين . وكان الرئيس الاميركي واثقاً كل الثقة ان استراليا وكندا وبعض بلدان اميركا الجنوبية لا تعارض قطعياً في فتح حدودها امام عدد كبير منهم .

وكان مفتاح حل المشكلة في لندن ..!

فهل يكتب النجاح لموريس ارنست في مهمته ؟

وعاد ارنست الى بلاده اخيراً ، ينقل الى رئيسه نتيجة مساعيه في عاصمة الانكليز . وخلاصتها ان بريطانيا ساعية لتطبيق برنامج جديد للهجرة في العالم ، وهي مستعدة لايواء ١٥٠ الف مشرد ، على ان تساهم اميركا بايواء مثل هذا العدد في اراضيها ، وقد ابدى الرئيس روزفلت للوهلة الاولى ارتياحه لهذه الخطوات .

ولكن بعد مضي اسبوع واحد على هذا التصريح ، زاره صديقه ارنست مرة ثانية وتداول معه في مشكلة مشردي اليهود في اوروبا ، واذا بروزفلت يعلن عندها : « انه اقتنع تمام الاقتناع ان ذلك البرنامج لن يحل المشكلة ، لا سيما وان قادة الصهيونية في اميركا رفضوا هذه الحلول .. »

واستطرد يقول : « وانهم على حق في معارضتهم ، لانهم يدركون ان فلسطين يجب ان تصبح عاجلاً او آجلاً الملجأ الامين لمجتمعهم .

وعن هذا الطريق يستطيعون جمع الاموال الطائلة مـــن اغنياء اميركا اليهود وغير اليهود في سبيل تحقيق هذا الهدف ... قائلين لاولئك المتبرعين الاغنياء: ليس هناك من مكان آخر يمكن لليهودي ان يلجأ اليه سوى فلسطين . ولكن في حالة وجود برنامج عالمي لايواء مشردي العالم في ملجأ سياسي ، او في عدة ملاجىء مختلفة فلن يتمكن زعماء الصهيونية من استدرار عطف المتبرعين للحصول على ملايين الدولارات ..! »

وقد صعق موريس ارنست لهـذه الاقوال يجاهر بها رئيسه وصديقه ، في وقت كان هو يسعى فيه الى تحقيـق ذلك البرنامـج القاضي باغاثة جميع مشردي اوروبا وفي مقدمتهم اليهود. ومع ذلك فلم يقنط ؛ وراح يتابع اتصالاتـه بكبار المتنفذين في الاوساط اليهودية محاولاً اقناعهم بفوائد البرنامج وكسب تأييدهم بعدان وافقت عليه كل من بريطانيا واميركا .. ولكن دون جدوى !

وكنتيجة حتمية لمعارضة الصهيونية العنيفة للمشروع ،توقفت جهود روزفلت من اجل تحقيقه .

وفي كانون الاول ١٩٤٥ اصـدر الرئيس ترومان تعليمات صريحة الى وزارتي الخارجية والحربية لتقديم كل التسهيـــلات الممكنة لهجرة اليهود الى الولايات المتحدة ضمن قوانين الكوتا . ولكن هذه التسهيلات لم تجد نفعاً لتخفيف وطأة مشكلة المشردين وقد تنبه الى حالة هؤلاء الشيخ الاميركي وليم ستراتون فأثار هذه القضية في الكونجرس عام ١٩٤٧ ، اذ طالب بفتح الهجرة امام المضطهدين الذين لاوطن لهم ، على ان يكون عدد الداخلين الى

الولايات المتحدة مساوياً لكمية الكوتا غير المستعملة خلال سني الحرب الاخيرة . وبموجب مشروع ستراتون تقرر السماح لحوالي ٤٠٠ الف مشرد من مختلف الاديان والاجناس بدخول الولايات المتحدة .

وقد استمرت اللجنة التي تألفت لدرس هذه القضية ،مدة احد عشر يوماً في الاجتماع المتتابع ؛ وضعت في نهايتها تقريراً يقع في ٦٩٣ صفحة ، كان منها احدى عشرة صفحة فقـــط تضمنت آراء المنظمات اليهودية ومطالبها . وكانت كلها تبـدي عـدم اهتمامها وحماسها لهذا المشروع .. ولكن ، عندما بحثت اللجنة الخارجية اقتراح « رايت كومبتون » الذي يوصي بانشاء دولة يهودية على غرار دول الكومنولث ،ابدت كافة المنظمات الصهيونية وحلفاؤها التأييد المطلق للاقتراح ، كما بعثت آلاف البرقيات والرسائـل وكلها تشيد به وتؤيده .. هذا ،مع اننا رأينا هذه المنظمات نفسها تقابل مشروع ستراتون بالفتور التام والصمت المطبق ، ولم ترتفع حينذاك سوى اصوات قليـــلة من اصوات المنظمات اليهوديـة الاميركيـة التي أيدت المشروع ، ومـن بينها صوت الشيـخ هربرت ليهمان .

هذا ،بينما كانت تلك المنظمات الصهيونية تجمع التبرعات الضخمة باسم اولئك المشردين المساكين من ابناء الانسانية المعذبة .

ومن جهة ثانية وقف رئيس المنظمة الصهيونية في اميركا يوضع هدف المنظمة ويقول : ان قلبي مفعم بالسرور لان حركتنـــا لاقت في نفوسنا جميعاً ارضاً خصبة ، ولان هدفها اصبح واضحاً

الا وهو انشاء دولة يهودية. ان الصهيونية ليست حركة من اجل قضية المشردين .. ولم تكن ابداً وليدة الحرب العالمية الاولى او الثانية كما يظن البعض ... وهي ، وان لم يوجد يهود مشردون في اوروبا او في غيرها من العالم ، ستظل قضية حيّة .. »

وبمناسبة الذكرى الثامنة لمؤتمر « ميزتاح » اليهودي ، كتب اليهودي سولتز برغر صاحب جريدة نيويورك تايمس يقول :

« ليس من واجبنا ان نحصر الجهود في ادخـــال اليهود الى فلسطين فحسب ، بل من واجبنا ايضاً ان نسعى لتوطين اولئك المشردين من اليهود وغيرهم في بلاد تستوعبهم .. »

وقد كانت كلمة برغر هذه موجهة الى اولئك الصهيونيين الذين يضعون نصب اعينهم هدفاً واحداً فقط ...هو اقامة دولة يهودية في فلسطين .

ولكن جميع هذه الاصوات المخلصة ضاعت في غمرة التيارات الوطنية الهائجة التي كان يقوم بها فئـات من اليهود المتطرفين . وبقيام دولة اسرائيل في فلسطين ، تلاشى آخر أمل في امكانية تنفيذ مشروع ايواء المشردين ، لان الصهيونية التي كانت تستغل مأساتهم في سبيل تحقيق اهدافها ، قد اتجهت انظارها نحو فلسطين حيث وجدت تربة جديدة خصبة لنموها .

ومع ذلك ،فان اللجنة الاميركية لانقاذ المشردين ،وفي طليعة اعضائها المستر لاسنغ روسنوالد المناهض الاول لسياسة الصهيونية ، حاولت ان تجدد نشاطها في سبيل انقـاذ اولئك المنكوبين ، ولكنها لم تستطع ان تفعل شيئاً امام تيار الصهيونية الجارف .

وفي الكتاب الابيض الذي اصدره تشرشل عام ١٩٢٢ عن فلسطين ، وصف عبارة « الوطن القومي » بانها تعني حرفياً « خلق مركز ديني لليهود في فلسطين ... » كما انه نفى صراحة وجود اية نية مبيّتة لفرض الجنسية اليهودية على جميع سكان فلسطين ، او جعل فلسطين يهودية .. »

وقد وصف وايزمن اقوال تشرشل هذه ، بانها مخالفة صريحة لوعد بلفور .

وعندما بدأ عدد سكان فلسطين يتزايد بشكل هائـل ، قام السكان العرب يطالبون بريطانيـــا بالاستقلال الناجز ، ووقف الهجرة اليهودية . فكان ان تتابعت عدة لجان ملكية عـلى درس وضع فلسطين والتحقيق فيه ، ولكن جميع هذه اللجان لم تتمكن من ايجاد حل للمعضلة يرضى عنه الطرفان العرب واليهود ، مما حمل بريطانيا ، عندما تحرج الوضع الداخلي بين الفريقين المتنازعين عام ١٩٣٧ ، على ايفـــاد بعثة « بيـل الملكية » الى فلسطين لبحث النزاع . وقد اوصت اللجنة بتقسيم البلاد الى ثلاثة اقسام : قسم للعرب ، وآخر لليهود ،بينما تركت القدس وضواحيها منطقة حرة تبقى تحت الانتداب البريطاني الدائم ، ولكن العرب واليهود رفضوا هذه التوصيات من اساسها .

وفي عام ١٩٣٩ ، وبعد فشل لجنة « بيل الملكية » اصدرت الحكومة البريطانية كتابا ابيض آخر ، وهو لايخرج في موضوعه عن سياسة بريطانيا الاولى ، اذ انه أوصى بانشاء دولة متحدة في فلسطين يشترك في ادارتها العرب واليهود معاً .

وعندما بدأت حملة الاضطهاد والتعذيب النازية ضد اليهود في المانيا وبولونيا وغيرهما من بلدان اوروبا الشرقيـــة ، سمحت بريطانيا الى آلاف اليهود بالدخول الى فلسطين تحت ستار حمايتهم من البربرية النازية وايوائهم في ملجأ امين .

كما ان ابواب بريطانيا نفسها انفتحت على مصراعيها لاستقبال عشرة الاف يهودي من المشردين ، مقدمة لهم اللباس والمسكن ، في حين كان الشعب البريطاني نفسه يقاسي آلام الحرمان والحاجة .

واذا شئنا ان نعدد الخدمات التي قدمتها بريطانيا الى اليهود لوجدناها كثيرة وواضحة .

ففي خلال الانتداب البريطاني على فلسطين ، سمحت السلطات المنتدبة للمؤسسات اليهودية بادارة شؤونهـــا بحرية ، كما سمحت بانشاء الوكالة اليهودية واعترفت بها كهيئة رسمية تنطق باسم يهود فلسطين . وكذلك سهلت الهجرة اليهودية بشتى الطرق والوسائل حتى بلغ عدد المهاجرين اليهود الذين دخلوا فلسطين حتى نهـــاية الحرب العالمية الثانية نصف مليون ؛ ورغم احتجاجات العالم العربي والاسلامي المتواصلة على هذه السياسة الراميـــة الى « تهويد » فلسطين فقد ارتفعت نسبة اليهود من ١١ بالمئة عام ١٩٢٢ الى ٣٢ بالمئة عام ١٩٤٥ .

واكثر من ذلك ...

فقد زودت بريطانيا يهود فلسطين بالاسلحة الحديثة والدبابات والاعتده الحربية ليتسنى لهم الدفاع عن انفسهم وكيانهم عنـــد الاقتضاء .

وانقذتهم من الاضطهاد الذي كان ينتظرهم .. كما اتاحت لهم فرصة ذهبية للتسلح .

وبعد ان زال شبح الحرب المخيف عن الاراضي المقدسة رأت بريطانيا بثاقب نظرها ان لا تستجيب سريعاً الى مطالب الصهيونيين فراحت تحاور وتماطل املاً منها في ايجاد تسوية تنال موافقة العرب واليهود على السواء .

وادرك زعماء الصهيونية « اللعبة البريطانية » فراحوا يشددون النكير على بريطانيا عن طريق الاوساط الاميركية ، كما عمدوا الى تشجيع الهجرة اليهودية غير الشرعية الى فلسطين ، متحدّين بذلك سلطة الانتداب البريطانية .

ولما قابلتهم بريطانيا بالعنف عمدوا الى اعمـــال التخريب والارهاب ضد القوات البريطانية ، وضـد كل ما هو بريطاني في فلسطين .

وازاء هذه الحالة الحرجة لم تقف الهيئة العربيـة العليا موقف المتفرج ، فراحت هي الاخرى تجد في شراء الاسلحة والاعتدة لتزود بها رجالها من المتطوعين العرب .

ونشطت عدة منظمات يهودية للتسلح ايضـاً ، وفي طليعتها « الهاغانا » المنظمة العسكرية شبه الرسمية ، التي كانت الوكالة اليهودية تشرف على تمويلها وتجهيزها . كما كان هناك ايضاً ، المنظمة الارهابية المعروفة باسم « ارغون زفاي ليومي » . وهذه المنظمة هي التي راحت منذ عام ١٩٤٣ تقوم باعمال التخريب في المؤسسات الحكومية ، وقد انشق عنها فيما بعد منظمة اخرى عرفت باسم

« شترن » . وقامت المنظمة الارهابية الاخيرة « شترن » خلال سني الحرب الاخيرة ، باعمال في غاية الجرأة والوحشية ، منها اغتيال وزير الدولة البريطاني في الشرق الاوسط لورد موين ، في احد شوارع القاهرة في شهر تشرين ثاني عام ١٩٤٤ .

وابان توتر الحالة بين اليهود وسلطات الانتداب ، ظهرت في اوروبا حركة منظمة ، راحت المصادر اليهودية تمدها بالمال والمساعدات ، وكان هدفها انشاء طريق سري ينفذ الى فلسطين لنقل المهاجرين اليهود والاسلحة . وقد زخرت بعض موانىء البحر المتوسط بالآف اليهود القادمين من شتى اقطار الدنيا وقد تولت المنظمة اليهودية تهريبهم بواسطة مراكب تجارية وشراعية الى ارض الميعاد .

ووقفت غالبية الشعب الاميركي تتطلع الى عمليات التهريب وكفاح اللاجئين اليهود من اجل الحصول على مأوى ، بعطف وتأييد ... بل ذهب بعضهم ابعد من ذلك ، اذ شن حملة شعواء على بريطانيا في طول اميركا وعرضها ، عندما قررت الحكومة البريطانية وقف الهجرة اليهودية الى فلسطين وقفاً تاماً .

وما ان أطل عام ١٩٤٧ ، حتى كانت الحالة في فلسطين قد تحرجت للغاية واستدعت تدخلاً دولياً عاجلاً .. فالصهيونيون يصرون على ان يكون اليهود اكثرية في فلسطين ليتمكنوا من انشاء حكومة يهودية على غرار نظام الكومنولث ، والسلطة المنتدبة تبذل كل مافي وسعها لفرض سياستها الغامضة .

اما العرب فكانوا يحاربون الانكليز واليهود معاً ويطالبون

بقيام دولة عربية مستقلة في الارض المقدسة .

هذا ، وبينما كانت الحالة بفلسطين في غليان وتحرج .. قامت في اميركا عدة منظمات تساعد الهجرة اليهودية ، وفي طليعة هذه المنظمات الرابطة الاميركية لفلسطين الحرة ، واللجنة العبرية للتحرر الوطني ، واللجنة السياسية العاملة لفلسطين .

وهذه المنظمات كانت تجمع الاموال والتبرعات من الاميركيين لتعزيز اعمال اليهود الارهابية في الارض المقدسة .

وفي غمرة هذه الفوضى الشاملة قررت بريطانيا نفض يدها من فلسطين ، خاصة بعد ان فشلت جميع المحاولات والمشاريع التي عرضتها كحل للمعضلة . وكان آخر هذه الحلول ، ذلك الحل المعروف بمشروع « بيفن » والرامي الى انشاء دولة على نظام « كنتونات » بفلسطين من العرب واليهود لمدة خمس سنوات والسماح لمئة الف لاجىء يهودي بالدخول الى البلاد .

وقد اعلنت الوكالة اليهودية آنذاك ، انها لن تتعاون بعد الآن مع السلطات المنتدبة ضد اعمال الارهابيين اليهود .

وحيال ذلك ، رأت بريطانيا ان لامخرج لها من هذه الورطة الا بعرض القضية على هيئة الامم المتحدة .

فدعت الامانة العامة للامم المتحدة ، الجمعية العمومية لبحث مسألة فلسطين واقرار حل لها .

وعندما طرحت القضية على بساط البحث في مجلس العموم البريطاني ، حاول بيفن بعبارات غامضة ان يبرر فشل حكومته في حل القضية الفلسطينية ، متهماً الساسة الاميركيين بتعقيد

المشكلة بدلاً من بذل الجهود لحلها وقد تجاوز حدود التقاليد الدبلوماسية عندما تعرض صراحة للبيت الابيض اذ قال :

«... وخرجت في اليوم الاول من انعقاد مؤتمر باريس، وانا مطمئن الى اننا تمكنا من تذليل العقبات ... وفي منتصف ليل اليوم التالي تلقيت برقية من رئيس الحكومة البريطانية يعلمني فيها ان الرئيس الاميركي ينوي اصدار قرار آخر بصدد المائة الف مهاجر (وكان يعني قرار ترومان بالسماح لمئة الف يهودي بدخول فلسطين) ولما كان المؤتمر ما زال منعقداً فقد رجوت بيرنز ناظر الخارجية الاميركية ان يتدخل لدى الرئيس ترومان كيما يؤجل صدور ذلك القرار الذي من شأنه عرقلة مباحثات المؤتمر.

وكان جواب ناظر الخارجية الاميركية انه اذا لم يعلن ترومان موافقته على ادخال مئة الف يهودي ، فان مزاحمه في الانتخابات ديوي سيسبقه الى اعلان موافقته وتأييده لادخال هذا العدد من المهاجرين اليهود ، فيكسب بذلك اصوات يهود اميركا في معركة انتخابات الرئاسة ..»

وقد اتصل اتلي رئيس الحكومة البريطانية بنفسه بالرئيس ترومان وطلب اليه تأجيل اصدار ذلك القرار ، ولكن ترومان لم يعر جميع هذه المحاولات ادنى اهتمام .

وتبين فيما بعد ،ان ميد وليهمان المرشحين الديمقراطيين لمنصبي حاكم نيويورك وشيخها قد ساعدا على اصدار ذلك القرار .

وفي السادس من شهر تشرين الاول ، أعلن ديوي مرشح الحزب الجمهوري للرئاسة ان على بريطانيا الا توافق على ادخال مئة

الف مهاجر فحسب ... بل عليها ان توافق على ادخال مئات الالوف من اليهود المشردين .

وكذلك اشترك الشيخ تافت في هذه المهزلة واعلن تأييده للهجرة اليهودية المطلقة الى فلسطين . وهذه التصريحات كانت كلها من جملة الدعايات التي اعتمد عليها الحزبان الجمهوري والديمقراطي لكسب معركة الرئاسة .

ويجدر الاشارة هنا بصفة خاصة ، الى ان الدعاية العربية كانت ضعيفة جداً ، بالنسبة للدعاية الصهيونية التي كانت تسيطر سيطرة تامة على جميع وسائل الدعاية بما فيها محطات الاذاعة والصحافة والتلفزيون .

وفي تلك الاثناء اعلنت بريطانيا عن عزمها على حفظ النظام والامن في الارض المقدسة ريثما تبت هيئة الامم المتحدة في القضية ، بعد ان وضع مصيرها بين يدي الهيئة .

وتتابعت الحوادث !..

واحتلت انباء الاصطدامات التي وقعت بين المنظمات الصهيونية التي تتولى تهريب المهاجرين وبين القوات البريطانية ، الصفحات الاولى من الصحف الاميركية .

وعندما صادرت السلطات البريطانية باخرة « ابريل» اليهودية التي كانت تحمل مئات اللاجئين اليهود، قام الارهابيون الصهيونيون بالرد على هذا العمل ، فنسفوا انابيب بترول نفط العراق .

وكذلك اعلنت منظمة ارغون الارهابية الحرب على الانتداب عندما اعدم البريطانيون « دوف غروفر » وثلاثة من الارهابيين

اليهود ، بعد محاكمتهم والحكم عليهم بتهمة مهاجمة مركز للبوليس الانكليزي . كما ان منظمة « شترن » وعدت بالثأر لهم .

وتتالت حوادث الاصطدامات الدامية في الارض المقدسة .

ومرة اخرى ارتفعت الاصوات وتعددت التصريحات تبدي عطفها على قضية المشردين اليهود لما يقاسونه من بؤس وشقاء !

وكان محرك هذه الاصوات المأجورة ، زعماء الصهيونية الذين تعمدوا اثارة هذه المشكلة ، ليسبغوا على قضيتهم الصهيونية طابع الانسانية . بينما كانوا في الخفاء يعملون على عرقلة جميع الجهود الرامية لاسكان هؤلاء المشردين البائسين في اميركا مثلاً او في بلد آخر .

ونتيجة لذلك ، راح رجل الشارع الاميركي ، يتابع القضية بكثير من الاهتمام ، وينتقد سياسة بريطانيا ... وبالتالي راح يطالب بضرورة فتح ابواب الهجرة اليهودية الى الارض المقدسة .

ومن اطرف التهديدات التي وجهتها الدعاية الصهيونية ، التهديد التالي الذي نشرته احدى صحفها :

« لن يكون هناك مساعدات مالية ، لتحقيق السياسة البريطانية في تركيا واليونان ، الا اذا اتبعت بريطانيا خطة اميركا بصدد قضية فلسطين !. »

وجدير بالذكر هنا ان وزارتي الحربية والخارجية الاميركيتين حذرتا البيت الابيض والكونغرس من مغبة تلك السياسة الخاطئة وكانتا محقتين في تحذيرهما ، لان مثل تلك السياسة قد تؤدي بنفوذ اميركا في بقعة استراتيجية هامة من العالم . ولكن الساسة

الاميركيين لم يأبهوا كثيراً لتلك الحقيقة ، من اجل سياسة حزبية تحقق مآربهم الشخصية .

وهذا ما حدث بالفعل .

فقد كانت القضية الفلسطينية في احرج ازماتها عندما بلغت حملة الانتخابات ذروتها بين الحزبين المتنافسين .. فادرك كل منهما ان حزبه لن يظفر باصوات الناخبين اليهود الاميركيين الا اذا تعهد بتأييد اقامة دولة اسرائيل في ارض فلسطين .!

ولعلها المرة الاولى في التاريخ .. ان تُكسب معركة حاسمة بوسائل الدعاية ، وكان الفضل فيها هو للصهيونيين انفسهم الذين علقوا مصير مستقبلهم على نتيجة تلك المعركة الانتخابية .

ويجب الاعتراف هنا ان تلك المحاولة لم تكن في مصلحة اليهود غير الصهيونيين ، الذين اتاحوا للصهيونية ، بموقفهم الحيادي ، المجازفة بمستقبل اليهودية الاميركية في غمرة التيارات السياسية العالمية .

التقسيم غير المقدس...

*

... وفي ٢٨ نيسان ١٩٤٧ عقدت الجمعية العمومية جلسة خاصة في نيويورك لبحث قضية فلسطين ، واقتصرت ابحاث هذه الجلسة على عرض مختصر للقضية من مختلف وجوهها .

وعندما بوشر باتخاذ الاجراءات اللازمة تمهيداً لعرض القضية في اجتماع الجمعية العمومية ،طلبت الوكالة اليهودية السماح لها بالحضور لعرض وجهة نظر يهود فلسطين ، ولكن طلبها رفض في بادىء الامر ، وتولى كل من مجلس الامن واللجنة السياسية درس مسألة السماح للوكالة اليهودية والهيئة العربية العليا بحضور اجتماعات الجمعية ، وقرروا ان تقدم كل منظمة ترغب في عرض مطالبها مستندات تثبت انها تمثل فئة كبيرة من سكان فلسطين ، كما تقرر تأليف لجنة للتحقيق بالقضية الفلسطينية ، على ان ترفع تقريرها الى اللجنة الرسمية الثانية في الجمعية العمومية في مدة اقصاها شهر ايلول ١٩٤٧ .

وهنا تقدمت روسيا باقتراح يقضي باشراك ممثلي الدول الخمس الكبرى في لجنة التحقيق هذه ، ولكن اقتراحها رفض .

وكانت حجة الولايات المتحدة هي ان وجود الدول الكبرى في هذه

اللجنة قد يؤثر في وضع تقرير متحيز .

وهكذا تألفت لجنة التحقيق من احدى عشرة دولة صغرى هي : استراليا، كندا ، تشكوسلوفاكيا ، غواتيمالا ، الهند ، ايران ، هولندا ، بيرو ، السويد ، الاورغواي ، يوغوسلافيا .

وعين القاضي السويدي اميل ساندستروم رئيساً لها .

ومنذ الساعة الاولى التي اعلنت فيها اسماء اعضاء اللجنة ، بدأت محاولات الصهيونية للضغط والتأثير على الاعضاء . . كما راحت المنظمات والمؤسسات اليهودية تبذل الجهود والمساعي خلال اجتماعات الجمعية العمومية لكسب التأييد والمساعدة للقضية الصهيونية .

فوجه رئيس حاخامي فلسطين بياناً الى هيئة الامم المتحدة ، ناشدها فيه ان يأتي قرارها النهائي عن فلسطين منسجماً ومصلحة اليهود . ! كما تضافرت جهود المؤسسات والهيئات اليهودية في الولايات المتحدة : كالمؤتمر اليهودي الاميركي ، واللجنة اليهودية لفلسطين ، واليانور روزفلت عقيلة الرئيس السابق روزفلت ، والمجلس الوطني اليهودي ، واللجنة المسيحية الاميركية لفلسطين . تضافرت جهودها كلها لمساندة المطالب الصهيونية ، واصدر كل منها بيانات صريحة في هذا المعنى .

حتى المؤسسات الاقتصادية اليهودية ،اشتركت في هذا الصراع المحموم . فاذاعت الشركة اليهودية الاقتصادية ، وهي شركة يهودية خاصة ، نشرة قالت فيها ان صحراء النقب يمكن الاستفادة منها واستيطانها بعد تزويدها بمياه الري في فترة لا تزيد

عن السنة الواحدة .

وقالت صحيفة « الشعب » التي يشرف عليها متمولون يهود بان العرب كانوا من انصار المحور خلال الحرب الاخيرة وطالبت هيئة الامم المتحدة باتخاذ قرار يقضي باقامة دولتين مستقلتين بفلسطين .

كما ارتفع صوت هنري دالس في صحيفة « نيو ريبابليك» داعياً الاميركيين الى بذل الاموال لمساعدة الارهابيين في فلسطين .

اما لجنة التحقيق ،فلم يمض وقت قصير على وصولها الى فلسطين ، حتى وقعت حادثة الباخرة « اكسودس » ، فطغت اخبارها على كل الاخبار .

وحادثة الاكسودس في منتهى البساطة ..

كانت هذه الباخرة تنقل عدداً من المهاجرين اليهود غير الشرعيين الى فلسطين ،فاعترضتها في عرض البحر قوة بريطانية مسلحة ،مما أدى الى وقوع الاصطدام بين المهربين اليهود وجنود الامبراطورية البريطانية . وبعد معركة دامية استمرت حوالي ثلاث ساعات قتل خلالها ثلاثة اشخاص وجرح ٢١٧ شخصاً ، تمكن الجنود البريطانيون من نقل المهاجرين اليهود الى ثلاث سفن حملتهم الى جزيرة قبرص تمهيداً لاعادتهم الى بلادهم .

هذه هي الحادثة كما وقعت .

ولكن الدعاية الصهيونية أبت ان تدع المناسبة تمر دون ان تستفيد منها ، فالتقطت افلاماً سينمائية لأولئك المهاجرين المحتشدين في قبرص .. ولم تترك داراً من دور السينما في اميركا الا وعرضت

فيها صور اولئك التعساء المشردين . !

كما ان زعماء الصهيونية رفضوا ما عرضته الحكومة الفرنسية من ايجاد الملجأ الامين لاولئك المهاجرين ، وتابعوا حملة دعايتهم ، مما اضطر الحكومة البريطانية أخيراً الى نقل المهاجرين الى مرفأ هامبورغ في المانيا .

اما عن الأثر الذي تركته هذه الحادثة ..

فقد ثار الرأي العام الصهيوني والاميركي واندفع يصب جام نقمته على بريطانيا ،حتى ان بعض القنصليات البريطانية في نيويورك وغيرها من مدن اميركا ،رُشقت بالحجارة، كما كتب على جدرانها العبارات العدائية .

واكثر من ذلك .. فقد انتقم الصهيونيون من البريطانيين بقتل جنديين انكليزيين ومثلوا بجثتيهما بصورة وحشية بشعة ، ثم علقوا الجثتين في غابة قرب مستعمرة « نتانيا » .

وفيما كانت الصهيونية ماضية في غيّها ، وبينما كان اليهود يتعامون عن هذه الاعمال الارهابية ، ارتفع صوت يهودي واحد يندد بها ، وكان له دوي الصاعقة . لقد تحرك اخيراً ضمير حي من الضمائر اليهودية الصحيحة هو ضمير الدكتور يهودا ماغنز ، رئيس الجامعة العبرية في فلسطين — والمعروف عن الدكتور ماغنز انه لم يؤيد ابداً فكرة فرض سيطرة يهودية سياسية على فلسطين، بل كان يسعى الى ايجاد حل عادل لهذه المشكلة، وكان مما اقترحه اقامة دولة متحدة ،من شأنها عدم تجزئة فلسطين ، وبالتالي تحقق رغبات الوطنيين من الطرفين . كما انه كان يدعو في كل مناسبة

الى التفاهم والتعاون بين العرب واليهود .

لقد وقف الدكتور ماغنز خطيباً في الذكرى الواحدة والثلاثين على انشاء الجامعة يقول :

« ان الصهيونية تحاول ان تضع الشعب اليهودي كله تحت نفوذها بالقوة والعنف . ان الحظ لم يسعدني بعد ، لكي اسمع من افواه معارضي الصهيونية رأيهم الصريح باولئك الاشخاص الذين نصبوا انفسهم مدافعين وحماة عنهم ...

انهم قتلة ...

انهم عصابة من الرجال والنساء .

وجميع يهود اميركا يشاركون هؤلاء الجرم ، حتى اولئك الذين يجهرون بمعارضتهم لاعمال القيادة الوثنية .. لان واجبنا يقتضينا بان لا نظل مكتوفي الايدي ..

ونحن اذا قرعنا ناقوس الخطر فذلك لاننا حريصون على المحافظة على تقاليدنا الدينية الصحيحة . »

وقد سافر الدكتور ماغنز بعد مدة قصيرة من القاء خطابه الى الولايات المتحدة ، وقرر ان لا يعود ثانية الى القدس ، المدينة التي احبها من صميم فؤاده . وقد جاء قراره هذا نزولاً عند الحاح اسرته واصدقائه الذين حذروه من العودة لان الارهابيين اليهود عازمون على الفتك به .

واخيراً مات الدكتور ماغنز بعيداً عن البلاد التي احبها وعمل كثيراً من اجل نموها ورفاهيتها .

وان كان الدكتور ماغنز قد مـات ، فان اقواله الصريحة

الصادقة ستعيش الى الابد ، فهو الذي قال :

« لقد كنا نعتقد ان الصهيونية ستعمل على تخفيف الحملة ضد السامية في العالم ، ولكننا رأينا العكس تماماً .. فقد ازداد اعداؤها . »

وقد كتبت الصحيفة البريطانية « كومنتري » في شهر ايار ١٩٤٧ تواجه الوقائع بصراحة فقالت :

« ان الرأي العام البريطاني قد ابدى سخطه ونقمته ليس فقط على يهود فلسطين ، بل على اليهود البريطانيين ، لانهم - اي يهود بريطانيا - أيدوا ولو بالعاطفة اعمال اولئك الارهابيين الصهيونيين في اغتيال الجنود البريطانيين والتمثيل بجثثهم . ولهذا كان من الطبيعي ان تتضاعف الكراهية والنقمة ضد اليهود ، وتكون خطراً داهماً يتهدد جميع يهود بريطانيا .. ان لم يبادر العقلاء الى وضع حد لهذه الاعمال »

وفي مثل هذا الجو العاصف المحموم ، باشرت لجنة التحقيق لهيئة الامم المتحدة دراستها للقضية الفلسطينية في ارض فلسطين نفسها ، وفي ٣١ آب وضعت تقريرها عن نتائج هذه الدراسة ورفعته الى اللجنة الثانية للجمعية العمومية .

ولكن ماذا تضمن التقرير ..؟

فبعد ان عقدت اللجنة حوالي ستة عشر اجتماعاً عاماً ، و ٣٦ اجتماعاً خاصاً في ليك سكسس والقدس وبيروت وجنيف واستمعت الى عشرات البيانات الشفهية ، ومثلها من البيانات والوثائق الخطية من الحكومات ومن المنظمات السياسية والهيئات الدينية ، وبعد ان

توسعت في الدراسة والبحث طوال ثلاثة اشهر ، لم تكن الحلول التي اوصت بها في تقريرها اجماعية ..!

فقد اقترحت اكثرية الاعضاء (كندا ، تشيكوسلوفاكيا غواتيمالا ، هولندا ، بيرو ، السويد ، الاورغواي) تقسيم فلسطين . واقترحت الأقلية المؤلفة من الهند وايران ويوغوسلافيا اقامة دولة واحدة على نظام فيدرالي . بينما لم تؤيد استراليا احد الاقتراحين ، وبرر ممثلها الدكتور جون هود هذا الموقف بقوله : « ان من واجب لجنة التحقيق عدم تقديم اي اقتراح من شأنه ان يؤثر على قرار الجمعية العمومية » .

وفي الثالث من شهر ايلول ١٩٤٧ ، كلفت هيئة الأمم لجنة فرعية لدراسة الاقتراحين المقدمين من الاكثرية والأقلية ، وقد تشكلت هذه اللجنة الجديدة من جميع ممثلي هيئة الأمم وانتخبت وزير خارجية استراليا رئيساً لها .

وعقدت اللجنة الجديدة ٣٤ اجتماعاً ما بين ٢٥ ايلول و ٢٧ تشرين الثاني ١٩٤٧ ، واستمعت خلالها للمرة الثانية الى ممثلي الوكالة اليهودية والهيئة العربية العليا .

وتولى مهمة الدفاع عن اقتراح الأكثرية الذي يقضي بالتقسيم غراسيا غرانادوس مندوب غواتيمالا وورود ريكز فابرغات مندوب الأورغواي ، وقد كان دفاع هذا الاخير واندفاعه في تأييد وجهة نظر الصهيونيين موضع دهشة وتساؤل في اروقة هيئة الأمم .!

وقد كتب احدهما فيما بعد ،وهو مندوب غواتيمالا غرانادوس كتاباً بعنوان « مولد اسرائيل .. المأساة كما شاهدتها » ونشر هذا

الكتاب ووزع بواسطة الصهيونيين لانه دافع بحرارة عن قضيتهم، كما ان زميله فابرغات مندوب الاورغواي ألقى عدة محاضرات لتأييد القضية الصهيونية .

ولم ينس الصهيونيون جميل هذين المندوبين ، فاطلقا اسميهما على شارعين من شوارع اسرائيل ، اعترافاً بفضلهما على القضية الصهيونية .

اما موقف بريطانيا من القضية ، فقد أوضحه مندوبها ارثر كريتش جونس اذ قال : « ان دولته لا تقر فرض اي مشروع جديد تضعه هيئة الامم ما لم ينل موافقة الطرفين العرب واليهود . خاصة بعد ان تكبدت بريطانيا الخسائر الجسيمة في الارواح والاموال .. » وهكذا ألقت بريطانيا مسؤولية كبرى على عاتق اعضاء هيئة الامم . وكان على هؤلاء الاعضاء ان يجدوا الحل العادل الذي يقبل به الطرفان المتنازعان ، ولا يعكر السلام في تلك البقعة من العالم .

وشعر اعضاء هيئة الامم منذ البدء ، ان سلطة الهيئة محدودة لا يمكنها ان تفرض اي توصية ، لا سيما اذا ما قررت القوات البريطانية الجلاء عن الاراضي المقدسة ... ولهذا ، وقف مندوب الولايات المتحدة هرتشل جونسون يقترح انشاء جيش من المتطوعين لاستخدامه في فرض قرار التقسيم ، ولكن اقتراحه لم يلق تأييداً في اوساط هيئة الامم .

وقام السيد محمد ظفر الله خان وزير خارجية الباكستان ومندوبها في هيئة الامم يدافع بحماسة وحرارة عن وجهة النظر

العربية ومعارضتها للتقسيم ، وأكد ان من حق عرب فلسطين البالغ عددهم مليون و ٣٠٠ الف عربي ، ان يختاروا نظام الحكم الذي يريدون ، وان هذا الحق قد ضمنته شرعة هيئة الامم المتحدة ، وكل ما يمكن لهيئة الامم ان تقوم به « ان تضمن لسكان فلسطين اليهود البالغ عددهم ٦٢٥ الفاً ، العيش ضمن الدولة الجديدة ، وممارسة عاداتهم الاجتماعية ، وطقوسهم الدينية بكل حرية .. »

ولكن مندوبي هيئة الامم ، المؤيدين للتقسيم ، لم يعبأوا بهذا الحل الذي اقترحه وزير خارجية الباكستان ، فقد كانوا تحت تأثير تقرير الاكثرية ، وحجج الوكالة اليهودية ، ولا سيما الدعاية الواسعة التي قام بها الحاخام سيلفر ، والبروفسور وايزمن .

ولا يخفى ان الاعتبارات الدولية كان لها تأثيرها ايضاً ، وخاصة الوعود المقطوعة لليهود باقامة الوطن القومي .

وعندما فكروا بتنفيذ مشروع التقسيم ، وجدوا ان هناك صعوبة هامة تعترضه ، هي ايجاد اتحاد اقتصادي بين الدولة اليهودية والدول العربية المحيطة بها ، اذ ان تقرير الاكثرية اصرّ على هذه النقطة بالذات ، وأكد ان مثل هذا الاتحاد ضروري جداً لانعاش الدولة الجديدة وازدهارها اقتصادياً . هذا ، مع العلم ان التوصية التي عرضت على الجمعية العمومية في تشرين الثاني ١٩٤٧ لم تقتصر على التقسيم فحسب ، بل نصت على انشاء اتحاد اقتصادي ايضاً .

حتى موسى شرتوك نفسه ، عضو الوكالة اليهودية البارز ، أصر في بيانه في هيئة الامم على « ضرورة انشاء اوثق الروابط

الاقتصادية بين الدول المجاورة » .

وانبثق عن اللجنة الخاصة التي أوصت بالتقسيم ، لجنتان فرعيتان تفرغتا لدراسة وجهات نظر كل فريق ومطالبه على حدة .

وطبقاً لمشروع التقسيم ، تركت مدينة القدس ، مدينة دولية تحت اشراف هيئة الامم . والمادة الوحيدة التي اعترضت عليها الوكالة اليهودية وطالبت بتعديلها هي التي نصت : « بان يكون حاكم المدينة المقدسة لا عربياً ولا يهودياً ... »

فكلمة « يهودي » تعني بوضوح كل يهودي الجنسية والمعتقد ، بينما كلمة « عربي » لا تشمل المسلم غير العربي . وبموجب هذه المادة يمكن للمسلم غير العربي ان يصبح حاكماً دولياً للقدس .

واخيراً ، وفي تشرين الثاني ١٩٤٧ ، انتهت اللجنة الخاصة من الاستماع الى جميع اصحاب العلاقة ، فباشرت بطرح القضية على التصويت ، فطرحت اولاً المشاريع التي تضمنت وجهة نظر العرب ، فرفضت بأكثرية ٢٨ صوتاً بينما أيدتها ١٨ دولة ، وامتنعت ١١ دولة عن التصويت ، وكان بين المشاريع اقتراح يقضي باحالة ست مسائل تتعلق بوعد بلفور وتنفيذ صك الانتداب على محكمة العدل الدولية لتبتّ فيها .

كما ان اللجنة رفضت ايضاً باكثرية ٣١ صوتاً ضد ٢٠ ، اقتراحاً ينص على انه من حق الامم المتحدة ان تفرض او توصي بفرض قرار التقسيم ، حتى ولو عارضته غالبية سكان فلسطين . وفي الاقتراحين اللذين عرضا على التصويت وقفت كل من الارجنتين

وسلفادور واليونان وهايتي وليبريا والبرازيل و كولومبيا والهند الى جانب الدول العربية . وعندما طرح على التصويت المشروع الذي اقترحته اللجنة والذي يوصي باعادة اليهود اللاجئين والمشردين الراغبين بالعودة الى بلادهم التي نزحوا عنهـــا ، رفض الاقتراح بالاكثرية ، وصوتت اميركا ضده ايضاً .

وفي الدورة الثانية للاقتراع ، عرض مشروع اقامـــة دولة متحدة في فلسطين ، فأيدته ٢٩ دولة مقابل ١٢ عارضته ، وامتناع ١٤ دولة عن التصويت ، وكانت الدول المعارضة مؤلفة من الدول العربية السبع ، تركيا ، الافغان ، ليبريا ، كوبا .

واخيراً طرح على التصويت مشروع التقسيم فأيدته ٢٥ دولة وعارضته ١٣ دولة وامتنعت ١٧ دولة عن التصويت .

والجدير بالملاحظة انه في جميع دورات الاقتراع وقفت الولايات المتحدة الى جانب روسيا السوفياتية ... وعلى الرغم من هـــذا الانسجام المريب بين الدولتين ، لم ينـل مشروع التقسيم سوى اكثرية ضئيلة عند احالته على الجمعية العمومية ، اذ بلغ عدد المخالفين للمشروع والممتنعين عن التصويت ٣٢ صوتـــاً .. ومن بينهم مندوبو ثلاث دول كبرى هي فرنسا ، بريطانيـا ، الهند ، الذين تعمدوا التغيب عن الاجتماع .

وهكذا اسفر نشاط هذه اللجان المختلفة التي تجاوز عددهـــا الثمانية عشرة لجنة ، والتي استمرت في دراساتها المتواصلة طيلة سبعة اشهر ما بين ليك سكسس ونيويورك وفلاشنغ ميدوز ، عن قرار التقسيم الذي عرض على الجمعية العمومية .

هذا المشروع الذي كان كافياً لاقراره في اللجنة الخاصة ، الحصول على اقلية ضئيلة بينما كان من الضروري تأمين ثلثي الاصوات في الجمعية العمومية .

ولو اننا عدنا الآن الى نتيجة التصويت الاخيرة في اللجنـــة الخاصة ، لوجدنا ان صوتاً واحداً هو الذي جعل المشروع ينال الاكثرية اللازمة (لان عدد المقترعين - المؤيدين والمخالفين - كان ٤٨ صوتاً ، والاكثرية هي ٢٥ صوتاً) .

هذا مع ان مندوب الفلبين الذي كان مقرراً ان يعـــارض المشروع ، امتنع عن التصويت في اللحظة الاخيرة ، بحجة انه لم يتلق تعليمات صريحة من حكومته .

وقبل ان تباشر الجمعية العمومية التصويت عـــلى المشروع استمعت الى الخطباء من مؤيدين ومعارضين .

وكالعادة وقف مندوبا جنوبي اميركا غرانادوس وفابرغت يدافعان عن وجهة نظر الوكالة اليهودية بكل حماسة واخلاص . بينما لم يظهر مندوبو روسيا السوفياتية والولايات المتحدة وجميع المدافعين عن المشروع اي اندفاع او تحمس في تأييده ، بل اعلنوا اسفهم لاضطرارهم الى تأييد مشروع التقسيم كحل اخير للقضية الفلسطينية .

وقد أبدى مندوب السويد تحفظه من المشروع واعترف بان « هذا المشروع له حسناته وله سيئاته .. » ولذلـــك فهو مضطر لتأييده اذا لم يعرض اقتراح افضل منه .

وقال مندوب كندا انه يؤيد مشروع التقسيم لانه افضل من

باقي الاقتراحات والحلول التي عرضت .

اما وزير خارجية بلجيكا السيد فان لا كنهوف فقد كان الخطيب الوحيد الذي أصاب صميم الموضوع بالنسبة للصهيونية عندما قال :

« ان قضية فلسطين تقلق بصفة خاصة الشعب البلجيكي ، لانه وجه اهتماماً خاصاً لتفهم الحركة الصهيونية ومراميها .. وادرك تمام الادراك ان الوطن القومي الطبيعي لمواطنينا اليهود هو بلا شك ارض بلجيكا .. لان اليهود لم يتعرضوا ابداً لاي اضطهاد او معاملة سيئة تحملهم على النزوح الى فلسطين واتخاذها موطناً لهم . »

وعلى الرغم من هذا التصريح الصريح فقد صوتت بلجيكا مع مشروع التقسيم .

وحاول هرتشل جونسون مندوب الولايات المتحدة ان يوهم الرأي العام العالمي ان المشروع لا يعني تجزئة الاراضي المقدسة بالمعنى الصحيح ، لان هناك فقرة صريحة في المشروع توصي بايجاد نوع من الاتحاد الاقتصادي ، وجعل القدس مدينة دولية ، كما ان الحدود بين الدولتين الجديدتين ستكون حدوداً شكلية ، كالحدود القائمة حالياً بين كندا والولايات المتحدة .

اما خطاب ظفر الله خان ، فقد كان بليغاً ومؤثراً ، اذ قال موجهاً حديثه الى الدول الغربية :

« .. لا تنسوا انكم ستحتاجون في المستقبل الى حلفاء واصدقاء في الشرق الاوسط ، ولهذا فارجو ان لا تخسروا ما لكم من رأسمال في تلك البلاد . »

ثم اضاف يسأل الدول الغربية وخاصة الولايات المتحدة :

« ما الغاية من انشاء دولة يهودية .. ؟ أهي من باب الدافع الانساني .. ؟ اذا كان الأمر كذلك ، فلماذا اقفلتم ابواب حدودكم في وجه اليهودي الذي لا ملجأ له .. ؟ ولماذا تصرون اذن على اسكانهم فلسطين ، بل ومساعدتهم على اقامة دولة لهم .. حتى يصبح ذلك اليهودي الذي كان بالأمس بلا مأوى يحكم العربي الفلسطيني . ؟ »

واخيراً أنهى وزير خارجية الباكستان خطابه بالتهكم على الحجج والاسباب التي بررت بها الدول الكبرى اقرار مشروع التقسيم .

وننتقل الآن الى المناورات التي رافقت التصويت على المشروع .

كان الاقتراع النهائي قد حدد موعده يوم ٢٦ تشرين الثاني ، على ان تسبقه جلسة للاستماع الى المناقشات الاخيرة ، ولكن الوفود فوجئت وبدون سابق انذار بنبأ الغاء جلسة المناقشة وتأجيل موعد الاقتراع . !

وقد جاء هذا التأجيل ، بعد ان تأكد الصهيونيون انهم بحاجة الى مزيد من الاصوات لتأمين الاكثرية المطلوبة لاقرار المشروع وقد تصادف ان عيد الشكر كان في يوم ٢٧ تشرين الثاني ، فكان من الطبيعي ان يؤخر الاجتماع مدة ٤٨ ساعة .. وهكذا اغتنم قادة الصهيونية والوكالة اليهودية هذه الفرصة لبذل اقصى ما في وسعهم من مساع واتصالات في اروقة الامم المتحدة ..

ولم يجد اغراء الصهيونيين اي صدى او أثر عند بعض مندوبي الدول . فقد اعلن الجنرال كارلوس رومولو مندوب الفلبين ، الذي امتنع عن التصويت في جلسة اللجنة الخاصة ، انه تلقى من

حكومته تعليمات تنص على عدم تأييد قرار التقسيم . وطعن الجنرال رومولو الصهيونية طعنة نجلاء عندما هاجم التقسيم بعنف ، وقال : « ان من حق كل شعب ان يقرر مصيره السياسي ، وان يحافظ على وضع اراضيه وكيانه من اي اعتداء .. وان مشكلة مشردي يهود اوروبا لا علاقة لها البتة بانشاء دولة يهودية مستقلة في فلسطين . »

وكذلك اعلن مندوب هايتي ان حكومته تحرص على الدفاع عن حريات الشعوب الصغيرة ، ولهذا فهي لا يسعها الموافقة على مشروع التقسيم .

وحيال هذه التطورات التي جاءت في غير مصلحة اليهود ، قام زعماء الصهيونية بمحاولات يائسة للضغط والتأثير على عدد من المندوبين باذلين جميع وسائل الاغراء لاستمالتهم .

وبينما كانت مهرجانات عيد الشكر تجري في شوارع نيويورك اهتزت اسلاك البرق في المدينة الاميركية الكبرى بنبأ الغاء مناصب اعضاء السفارة السيامية ، ومن بينها منصب مندوب سيام في اللجنة الخاصة ، والذي كان قد عارض قرار التقسيم!.. واضاف النبأ ان ارسال بعثة دبلوماسية جديدة قد تأجل الى موعد آخر . وهكذا خسر المعارضون للتقسيم صوتاً واحداً من جراء الغاء سفارة سيام .

اما اليونان فكانت قد اعلنت معارضتها للمشروع بلسان مندوبها ، وكان عدد المعارضين قبل الاختفاء السحري للمندوب السيامي يتراوح بين ١٥ و ١٦ صوتاً .. ومعنى ذلك ان من

الضروري تأمين ٣٠ صوتاً فما فوق لكي يحصل المشروع على الاكثرية المطلوبة .

هذا ، وكان بامكان دعاة التقسيم ان يعلنوا ان مندوب بلجيكا وهولندا ونيوزلندا سيقفون الى جانبهم في اللحظة الحاسمة وكذلك مندوب اللوكسمبورغ ، وجميع هؤلاء المندوبين كانوا قد تغيبوا خلال الاقتراع على المشروع في اللجنة الخاصة .

وفي يوم الجمعة في ٢٨ تشرين الثاني عقدت الجمعية العمومية اجتماعها ..

فتكلم اولاً الدكتور لوبز مندوب كولومبيا داعياً الى إيجاد حل سلمي ، واعادة القضية الى اللجنة الخاصة مع تكليفها بالقيام بالمساعي للمصالحة في مدة ٣ اشهر . اما السيد بارودي مندوب فرنسا فقد وقف يطلب تأجيل التصويت مدة ٢٤ ساعة .. وقد أيده في طلبه مندوبو فنزويلا والدنمرك واللوكسمبورغ بدافع المبدأ القائل : « حيث توجد الحياة .. يوجد الامل . » وهكذا تقرر تأجيل اجتماع الجمعية العمومية باكثرية ٢٥ صوتاً ضد ١٥ صوتاً ..

وكان من العسير في ذلك الحين ان يفهم المرء لمصلحة أي الفريقين جاءت فترة التأجيل القصيرة ... ولكن بعد ان تمّ الاقتراع وظهرت النتيجة ، اتضح أن التأجيل كان لمصلحة مؤيدي التقسيم .

ففي صباح ٢٩ تشرين الثاني ، وقبل اجتماع الجمعية العمومية بساعات معدودة صرح اوسوالدو ارنها مندوب البرازيل ورئيس هيئة الامم للصحفيين : « انه بات يعتقد مقتنعاً ان قرار التقسيم

سينال الاكثرية اللازمة عند طرحه على التصويت .»

وعند افتتاح الجلسة اعلن الصهيونيون بكل اعتداد ، انه مع موافقتهم على مبدأ التقسيم ، لا يجدون فيه تحقيق آمانيهم القومية كلها ...

اما العرب فقالوا انهم يوافقون على اقامة دولة على نظام المقاطعات (الكونتونات) كما ورد في التقرير الذي وضعته اقلية اعضاء لجنة التحقيق الدولية .

وبعد بضع مناورات برلمانية ، طرح القرار على التصويت ، فأقرّ باكثرية ٣٤ صوتاً ضد ١٢ صوتاً وامتناع ١٠ عن التصويت وتغيب مندوب واحد .!

وقد كان موقف مندوبي ليبريا وهايتي والفلبين مدعاة الدهشة والاستغراب ، اذ أنهم أيدوا المشروع ، بينما كانوا قد اعلنوا قبل ٢٤ ساعة فقط من موعد الاقتراع انهم ، سيعارضون قرار التقسيم ..!!

اما مندوبو الدول العربية فقد استقبلوا قرار التقسيم بالهياج والسخط ، واعلنوا ان الدول العربية لن تتقيد بقرار هيئة الامم لانه جاء مجحفاً بحق العرب .

ومنذ تلك اللحظة تصدّعت العلاقات بين الغرب والعالم العربي الاسلامي .

اما نتائجه فقد ظهرت في الشرق الاوسط . فمن مراكش الى كراتشي بالباكستان .. تدهورت كرامة الولايات المتحدة وحليفاتها الى ادنى الدرجات ..

والواضح الآن . ان اكثرية ثلثي اعضاء الجمعية العمومية صوتت الى جانب التقسيم .. ولكن الامر الذي ما زال غامضاً هو كيف ضمنت هذه الاكثرية .؟ وكيف حصل الضغط .؟!

لنعد قليلا الى الوراء كيما نوضح هذه النقاط والحقائق الغامضة ..

.. ففي إبان الصراع الحاسم ، وعندما كانت النتيجة غير مضمونة لمشروع التقسيم ، وقف عضو الكونجرس الاميركي عمانوئيل سيلر يهاجم بشدة وفد الولايات المتحدة الدائم في هيئة الامم لان نظارة الخارجية تولت وحدها اختيار اعضاء الوفد..

وكانت حجة سيلر الصهيوني تنحصر في ان الوفد الاميركي لم يسعَ كما لم تسعَ نظارة الخارجية للضغط او التأثير على اي عضو من مندوبي هيئة الامم .. !

وبينما كان الشيخ وارن اوستن رئيس وفد الولايات المتحده لهيئة الامم يعبر عن ارتياحه لانه مكّن اليهود الاميركيين غير الصهيونيين من عرض وجهة نظرهم على اعضاء الوفود الاجنبية ،عن طريق حكومات تلك الوفود ، كان دعاة الصهيونية يتقدمون بجرأة من مفوضيات عدة دول اجنبية للحصول على تأييدها مستخدمين شتى وسائل الاغراء ! وكان في طليعة هؤلاء الصهيونيين الذين لعبوا دورهم الكبير : القاضي جوزيف بروسكاوير رئيس اللجنة الاميركية اليهودية ، والاقتصادي روبرت ناثان ، ودافيد نايلز مستشار البيت الابيض لشؤون الاقليات . فقد اتصل هؤلاء الثلاثة بالحكومات الاجنبية او بممثليها بوصفهم مجرد

« مواطنين اميركيين » .. وكانوا رجالاً اذكياء يعرفون من أين
تؤكل الكتف .. فقد استطاع مثلاً روبرت ناثان بوسائله الخاصة
ان يضعف مقاومة ليبريا ويجعلها توافق على قرار التقسيم بعـــدان
عارضه مندوبها في اجتماعات اللجنة الخاصة . كما ان هؤلاء اليهود
الثلاثة وغيرهم من المتنفذين في البيت الأبيض راحوا يلوحون لعدد
من مندوبي جنوبي اميركا ، بان تأييـدهم لقرار التقسيم سيساعد
كثيراً على تحقيق مشروع الطريق الاميركي بـــين الجمهوريات
الشمالية والجنوبية .. من الاعتمادات الاميركية الضخمة .

حتى اليانور روزفلت بذلت الجهود الجبـــارة ، واستعانت
باصدقائها ونفوذها للضغط على عدد من مندوبي الدول الأجنبية ،
كما كانت تلح باستمرار على خلفية زوجها هاري ترومان لكي يضغط
على موظفي نظارة الخارجيـة ، الذين كانوا يحصرون نشاطهم في
مناقشات سلمية مع ممثلي الدول الأخرى .

وعندما كان مصير قرار التقسيم ما زال سراً غامضاً قام برنارد
باروخ بمساعٍ خاصة مع فرنسا، المستفيدة من مساعدات مشروع
مارشال ، كما اتصلت عدة شخصيات اميركيـة متنفذة بمندوبين
آخرين امثـــال منـدوبي هايتي والحبشة والفلبين والبارغواي
واللوكسمبورغ وضغطت عليهم لتأييد قرار التقسيم .

وكانت جميع وسائل الضغط والاغراء، التي استخدمها اولئك
المتنفذون تعتمد على موارد الولايات المتحدة الاميركية ونفوذها
الواسع ..!

وقدفضح الصحفي درو بيرسون،وهو صديق قديم للصهيونية،

المخـــابرة الهاتفية التي جرت بين ادولف بيرل المستشار الرسمي
لحكومة هايتي وبين رئيس جمهوريتها ، والتي اسفرت عن تأييد
مندوب هايتي لقرار التقسيم ... وكذلك تحدث عن الاتصالات
التي جرت بين هارفي فيرستون صاحب مزارع المطاط الشاسعة في
ليبريا وبين حكومـــة ليبريا ، والتي انتهت بان وقفت ليبريا الى
جانب التقسيم .

وفي اثناء مأدبة غداء اقيمت في اليوم الاول من كانون الاول
١٩٤٧ ،قال روبرت لوفيت سكرتير نظارة الخارجية بصراحة ما
نصه بالحرف الواحد : « انني ما تعرضت في حياتي ابداً الى مثل
الضغط والاغراء اللذين تعرضت لهما خلال الايام الثلاثة التي سبقت
طرح قرار التقسيم على الجمعية العمومية . »

واضاف لوفيت يقول : « ان حميّا النشاط اليهودي قد بلغت
اقصاها حتى طغت على المطالب الايجابية العادلة .. »

ولقد كان في مقدمة الذين اتصلوا بلوفيت وضغطوا عليـــه ،
هربرت بايارد سواب وروبرت ناثان . واستناداً الى اقوال لوفيت
نفسه ، ثبت ان شركة فيرستون للمطاط استغلت نفوذها في ليبريا
للضغط مباشرة على حكومتها لقبول التقسيم .

اما المهزلة الكبرى .. فهي التي مثلت لكسب الفلبين الى
جانب التقسيم .

فقد غادر الجنرال رومولو الولايات المتحدة، بعد ان اعلن
معارضته الشديدة لقرار التقسيم . وبعد سفره مباشرة اتصل سفير
الفلبين برئيس الجمهورية روكساس هاتفياً، وانبأه بالضغط الشديد

الذي تعرض له رومولو واعضاء الوفد، ثم ابدى وجهة نظره، وهي تقضي بضرورة تأييد قرار التقسيم، لا سيما وان حكومة الولايات المتحدة ووفدها في هيئة الامم مصممان على اقرار المشروع، وابلغ السفير الفلبيني رئيسه ان مصلحة الفلبين، هي في تأييد الولايات المتحدة في موقفها... وكان ان وافق رئيس جمهورية الفلبين على وجهة نظر السفير.

وفي هذه الاثناء، تلقى الرئيس روكساس ايضاً برقية موقعة من سبع وعشرين شخصية اميركية من انصار الصهيونية، في مقدمتهم عضو الكونجرس الاميركي روبرت داكز، وفيها يطلبون بالحاح تأييد مشروع التقسيم، ويذكرون المسؤولين في الفلبين بالفوائد التي ستجنيها الجزيرة من جراء هذا الموقف.

وهذه البرقية نفسها، كانت قد ارسلت الى اثني عشر مندوباً من مندوبي الدول في هيئة الامم، وكان من نتيجتها، ان اربعة منهم انقلبوا الى تأييد المشروع بعد ان كانوا معارضين له، كما تحول سبعة مندوبي من المعارضة الى الامتناع عن التصويت.

وكانت اليونان، الدولة الوحيدة التي احتفظت بموقفها المعارض على الرغم من الاغراء والضغط اللذين تعرض لهما وفدها في اروقة هيئة الامم المتحدة.

وعندما انتهى الاقتراع على المشروع وقف ظفر الله خان يعلق على النتيجة بقوله:

« لقد سعينا لاحقاق الحق الذي استوحيناه من الله.. ونجحنا في اقناع عدد من مندوبي الدول ليروا الحق كما لمسناه.. ولكن

مساعينا ضاعت في التيار الجارف.. نحن لا نحقد على زملائنا المندوبين الذين أكرهوا تحت الضغط والاغراء الشديدين، ان يبدلوا موقفهم ويقترعوا على مشروع لا تقره لا العدالة ولا الانصاف.»

وما ان مضت بضعة اشهر على تلك النتيجة، حتى اعترف «دين روسك» رئيس مؤسسة روكفلر امام جمع من ممثلي المنظمات الوطنية الاميركية بالفضيحة التالية:

« ان الولايات المتحدة لم تقم باي ضغط مباشر على مندوبي هيئة الامم، ولكن عدداً من كبار الشخصيات الاميركية المسؤولة اساء استخدام مراكزه الحكومية ونفوذه للضغط والتأثير على بعض مندوبي الدول...»

واضاف روسك: «انه في سبيل اقرار التقسيم، راح هذا الفريق من المسؤولين الاميركيين يوهم بعض مندوبي الدول بان مشروع التقسيم، انما هو (مشروع اميركي)..!»

ولقد لعب العامل الديني دوراً هاماً في اقرار التقسيم وخاصة لدى الطائفة الانجيلية المستمدة تعاليمها من التوراة، وكان هذا العامل من جملة العوامل التي حملت ايرل بلفور والجنرال سمطس على تأييد اقامة وطن قومي يهودي في الاراضي المقدسة.

فقد كان للعبارة التالية الواردة في صك الانتداب البريطاني على فلسطين «العلاقة التاريخية للشعب اليهودي بفلسطين» اثرها الكبير في معركة التقسيم ونجاحها. ففي الخطاب الذي القاه الحاخام سيلفر امام اللجنة الخاصة، شدّد على هذه العبارة، واستند اليها في مطالبته بانشاء الوطن القومي.

كما ان هذه العبارة بالذات دعمت الادعاء القائل بوجوب بقاء الشعب اليهودي ، فقد كانت غالبية اعضاء هيئة الامم تؤخذ بمثل هذه العبارة الرنانة ، وتتأثر بها ، اكثر من تأثرها بالحقائق التاريخية والوقائع الثابتة .

وقد اتضح ان عبارة « الوطن القومي في فلسطين » الواردة في وعد بلفور وصك الانتداب ، لا تعني ابداً ، وليست هي مشابهة لعبارة « الدولة اليهودية بفلسطين » ، لانه لو كان هدف المسؤولين انشاء دولة لما استعملوا عبارة اخرى لا تفي في معناها ومرماها سوى اقامة وطن قومي ليس الا ..

ثم ان وقوف الصهيونيـــة موقف اللامبالاة من مشروع ستراتون بشأن مشردي اوروبا ، ومعارضتها الشديدة لاسكان ٣٠ الف يهودي مشرد في غويانا الهولندية بجنوبي اميركا ، كشف النقاب عن الغاية الاساسية لزعماء الصهيونية .

ولكن الشيء الذي يؤسف له ، هو ان تتحـــد اميركا مع روسيا في جبهة واحدة لتسيطر على باقي الوفود وتظهر بمظهر المؤيدة للصهيونية ضاربة بالاعتبارات الانسانية عرض الحائط .

ان اولئك الدبلوماسيين ، لم يدركوا ان « الوطن القومي » لا يتطلب اقرار التقسيم لانه بالامـــكان اسكان ٦٠٠ الف يهودي ، يضاف اليهم ٢٠٠ الف مـن اليهود المشردين ، في دولة موحدة او في دولة فدرالية ، كجمهورية الاتحاد السويسري ..
اذ ان الجمهورية السويسرية مثلاً تتألف من اربع جنسيات مختلفة تتكلم اربعة لغات مختلفة ايضاً ، وتعيش في مقاطعات (كونتونات)

منفصلة .. وقد ضمنت لجميع هذه المقاطعات حقوقاً متساوية . وهي تؤلف في مجموعها دولة سياسية واحدة واذا كان السويسري سواء كان من اصل المـــاني وفرنسي ، استطاع العيش بسلام بجوار مواطنه خلال حربين عالميتين في دولة احتفظت بحيادها التام ...
فليس من العسير ان يعيش العربي واليهودي ضمن دولة واحدة !
ولكن حبال الدعاية الواسعة التي قام بها زعماء الصهيونيه في طول اميركا وعرضها ، والتي كانت تؤكد ان : « كل اليهود راغبون في انشاء دولة لهـم » ، وجدت عدة دول مسيحية اوروبية نفسها مضطرة لمساعدة « خلق اسرائيـــل » لتكفر عن الاخطاء التي اقترفتها بعض الدول الاوروبية المسيحية بحق اليهودية .

وقد اعترف سفراء الارجنتين و كولومبيا والبيرو والنروج في محادثات خاصة مع المؤلف ، بانه لو برزت معارضة قوية مـن اليهود ضد فكرة الصهيونية ، لكان من شأنهـــا اضعاف القضية وبالتالي عدم اقرار مشروع التقسيم .
لكن هذه الحجج الدامغة ، لا يمكن للعرب تقديمهـــا لتدعيم وجهة نظرهم .. كما ان اعداء الصهيونية لم يتمكنوا مـن اسماع اصواتهم ، او القيام بدعاية واسعة ، فاكتفوا بتقـــديم مذكرة ضافية تعبر عن وجهة نظرهم ، ولكن هذه المذكرة مالبثت ان ضـاعت بين آلاف المذكرات والاوراق المقدمـــة مـــن الصهيونيين وانصارهم .

ومما يستلفت النظر ، انه قبل اسبوع مـن اقرار مشروع التقسيم ، زار وايزمن الرئيس الاميركي ترومان ، و كان هدف هذه

الزيارة تدعيم وضع الصهيونية ، والتأكد من ان خليج العقبة سيكون ضمن الاراضي التي ستتألف منها « الدولة اليهوديه » .

كما ان اتصالات عديدة جرت بين البيت الابيض والزعماء الصهيونيين عن طريق دافيد نايلز ، وادوارد جاكبسون ، شريك ترومان القديم في عمله التجاري بمدينة كنساس ، الذي أدى للصهيونية خدمات جلى مستغلا صداقته المتينة بالرئيس الاميركي .

وحدث ذات مرة .. وفي مكتب هيئة الامم المتحدة ، ان جلس السفير هرتشل جونسون والجنرال جون هيلدرنغ ينقلان انباء سيئة لبعض اعضاء الوكالة اليهودية عن مصير خليج العقبة وفيما هما يسردان الانباء ، رن جرس الهاتف ، وكان المتحدث الرئيس ترومان نفسه ، الذي بلغهما تعليماته الجديدة بشأن خليج العقبة ، وكانت هذه التعليمات طبقاً لرغبات وايزمن !

وقد كان مشروع تقسيم فلسطين ، القضية الاولى والوحيدة التي جمعت بين الولايات المتحدة والاتحاد السوفياتي في صف واحد ، وجعلت بينهما نوعاً من الانسجام منذ انشئت هيئة الأمم .

وقد صرح مندوب فنزويلا السنيور زولواغا بكل بساطة «ان هذا التفاهم في السياسة الروسية ـ الاميركية على قضية فلسطين هو اعظم حدث تاريخي هام في حياة هيئة الامم ..»

ويجدر بنا الاعتراف هنا ، ان الحكومة الاميركية برهنت في وقوفها مع روسيا في صف واحد ، على جهلها التام للاساليب السوفياتية .

دعونا نتساءل ..

لماذا كان الكرملين يسمح ، بل يشجع هجرة اليهود اللاجئين الى اسرائيل من الدول الشرقية الواقعة تحت نفوذه ..؟

لماذا كان الكرملين يسمح بتجمع حوالي ٣٠ الف مهاجر يهودي في موانىء البحر الأسود استعداداً لتسفيرهم الى فلسطين ، اذا كان هذا العمل لا يخدم الاغراض السوفياتية ، ويتفق وخططهم المرسومة نحو الشرق الاوسط ؟!

ان هذه الامور وغيرها ، كانت تعلم بها الولايات المتحدة .. اذ ان ممثليها الدبلوماسيين في موسكو وعواصم اوروبا الشرقية بعثوا بتقارير وافية عنها .. ولكن المسؤولين في واشنطون لم يعيروها كبير اهمية .

وهكذا اتاحوا للروسيا ان تمضي في مناورتها .. فقد كانت روسيا السوفياتية اول من طالب من على منصة هيئة الامم بانهاء الانتداب على فلسطين وجلاء القوات البريطانية عنها ، وكانت تهدف من وراء ذلك الى خلق القلاقل والفوضى في تلك الربوع لتتمكن اصابع الشيوعية من التغلغل هناك .

فالولايات المتحدة كانت تجهل كل الجهل الوضع السياسي والاجتماعي في الشرق الاوسط .. فقد كان الاعتقاد السائد عند اغلب الاميركيين ، ان تلك البلاد يسكنها شعب بدوي لا يمكن ان يكون له ادنى تأثير او اهمية بالنسبة للولايات المتحدة . كما لعبت الدعاية الصهيونية الواسعة التي اجتاحت اميركا ، وغذتها المؤسسات الصهيونية بالاموال والنفوذ ، دورها الكبير في اشاعة

مثل هذه الاضاليل ، حتى بات الاعتقاد في دوائر واشنطن انه يمكن التضحية بمصالح ذاك الشعب البدوي دون ان تتعرض مصالح الولايات المتحدة لأي خطر . واستناداً الى هذه السياسة الخاطئة ، اعتقدت اميركا جازمة ان لاخطر من تقسيم فلسطين ، ومساعدة اليهود المعذبين على حساب العرب .. لاسيما وان السياسة السوفياتية جاءت منسجمة مع خطتها .

وشيء آخر يجب ان يذكر في هذا المجال ، هو موقف الاميركيين الذين أيدوا التقسيم وتحمسوا له . فهذا النفر لم يؤيد قيام اسرائيل اقتناعاً منه بحق اليهود فيها ، وانما لانه كان يجد في هذه الوسيلة فرصة مناسبة للتخلص من يهود اميركا .

ولقد برهنت السنوات القليلة ، التي مرت على انشاء الدولة اليهودية في فلسطين ، على ان الروابط بين هذه الدولة وبين اليهودية الاميركية كانت متينة وثيقة ، وصار واضحاً الآن ان اخلاص يهود اميركا غدا منحصراً في اسرائيل ، ومساعدتها حتى ولو ادى بهم ذلك الى التضحية بمصالح البلاد التي يسكنونها ويحملون جنسيتها ويتمتعون بامتيازاتها .

وبالاختصار .. لقد وجهت هيئة الامم المتحدة ضربة قاضية للمبادىء الانسانية والحقوق الدولية بتسرعها في معالجة القضية الفلسطينية ، باساليب بعيدة عن التروي والعدالة والمبادىء الانسانية .

فلقد حصرت هيئة الامم ابحاثها في دراسة مسألة منح اليهود نصف ارض فلسطين ، لينشئوا عليها وطناً قومياً لهم ، وتجاهلت

مشكلة مشردي اوروبا ، الذين خلفتهم الحرب العالمية الثانية بلا مأوى ، مع ان معالجة هذه القضية الاخيرة هي من اول واجباتها .

ثم ان اللجنة الخاصة التابعة لهيئة الامم ، وضعت بالاجماع توصية تنص على ان قضية فلسطين لاتحل المشكلة اليهودية .

ولكن القائمين على هيئة الامم تجاهلوا هذه التوصية ، بل انهم سخروا من التوصية الواردة في وعد بلفور وصك الانتداب ، ومن تقرير لجنة التحقيق الاميركية - البريطانية ، الذي نص على انه لايمكن اقامة دولة يهودية في ارض فلسطين اذا استمرت العداوة بين اليهود والعرب .

واذا كانت هيئة الامم قد تجاهلت هذه الحقيقة الواضحة؟ فان الواقع لايمكنه ان يتجاهلها .

لقد علّقت هيئة الامم اقرار مشروع تقسيم فلسطين ، واقامة دولتين يهودية وعربية ، على قبول الفريقين باقامة اتحاد اقتصادي بينهما وتدويل القدس ..

ولكن ، ها قد مرت ست سنوات على هذا القرار المشؤوم ، ولم يقم هناك دولة عربية الى جانب الدولة اليهودية .!

ولم يقم اتحاد اقتصادي ..

ولم تدوّل مدينة القدس ..

ولا أقيمت حدود ..

وليس هناك من سلام ، او استقرار ، يخيمان على الارض المقدسة .

بلى !..

هناك دولة يهودية تعاني ضائقة اقتصادية خانقة ..

وهناك خطوط هدنة ..

والمدينة المقدسة مقسمة الى شطرين ، تفصلها منطقة حرام لا تتجاوز مساحتها ٥٠ قدماً ..

وهناك ايضاً ..

نصف مليون من العرب ، مشردين في البلدان العربية ،تفتك بهم الامراض والشيوعية !..

ولادة دولة !

*

.. ما ان اعلن قرار التقسيم يوم ٢٩ تشرين الثاني ١٩٤٧ ، حتى تحولت الارض المقدسة الى ساحة حرب ، سفكت فيها الدماء، وسادها الرعب والاضطراب ، وقتل ١٧٠٠ نفس في المائة اليوم الاولى التي تلت ذلك القرار المشؤوم .

وكل هذا ، كان من نتيجة تسرع هيئة الامم فلقد وجدت الهيئة اسباب العلة في القضية الفلسطينية ، ولكنها لم تبذل اي جهد فعال لمعالجتها .

لقد اعلن العرب ، منذ اللحظة الاولى ، معارضتهم للقرار ؛ وبريطانيا نفسها ، حافظت على وعدها بعدم فرض اي قرار على فلسطين ، ما لم يوافق عليه العرب واليهود على السواء .

امّا هيئة الامم ،فقد وقفت تنتظر حدوث اعجوبة من السماء تحمل العرب واليهود على التفاهم ، والوصول الى اتفاق فيما بينهم .

وبينما كانت الفوضى تعم الارض المقدسة ، والاضطرابات تزداد يوماً بعد يوم ، تنذر بهبوب العاصفة ظلت هيئة الامم

صامتة ساكنة .

وهنا راح دعاة التقسيم ينادون بضرورة التدخـل المسلح لوقف هذا الصراع العنيف ، ان لم يكن عن طريق هيئة الامم ، فبوساطة الولايات المتحدة وحدها . وكان في طليعة المتحمسين لهذا التدخل المسلح السيدة اليانور روزفلت ، وصمنر ويلز ، والشيخ هربرت ليهمان ، والبرت توماس ، والشيخ تافت . وهذا الاخير اقترح انشاء جيش خاص لفلسطين .

وعندما انعقد مجلس الأمن في ليك سكس لبحث القضية ، توجه مندوب اميركا وارن اوستن الى واشنطن ، حيث تداول الموضوع مع وزير الخارجية مارشال ؛ ثم عاد الى ليك سكس وابلغ اعضاء مجلس الأمن وجهة نظر الحكومة الاميركية ، التي تعـترف بان ليس من صلاحية المجلس ، فرض التقسيم بقوة السلاح وفقاً لميثاق الهيئة ، وانه لا يمكنه التدخل الا في حالة تهديد السلم العالمي .

وهكذا وقفت الولايات المتحدة في وجـه التدخل المسلح لفرض التقسيم ..

ولكن ، ما هو سبب هـذا الانقلاب المفاجيء في السياسة الاميركية ..؟

ان السياسة الاميركية ، كانت موزعـة بين عاملين قويين : عامل حاجتها الى البترول العربي ، وعامل الخوف من فقدان اصوات الصهيونيين ، وانصارهم في اميركا .

ولذا ، فقد اعتقدت اميركا ، انها بانتهاجها هذه السياسة الجديدة ،

قد نكسب العاملين معا .

وفي هذه الاثناء ، اخذت الصحافة الاميركية تتحدث تلميحاً ، عن الضغط الذي يتعرض له الرئيس ترومان من قبل فريق من ساسة نيويورك ، ليحملوه على مساندة اسرائيـل مساندة قوية . ولم يقتصر التلميح على الصحف ، بـل خرج الى الشارع .. ففي احدى الاجتماعات التي عقدها الحزب الديمقراطي في برونكس ، وحضرها عدد كبير من اليهود ، وقف المرشح العمالي ليو ايزاكسون يدافع عن وجهة نظر الصهيونيين ، ويطالب بوقف شحن الاسلحة الى العرب ، وارسال قوات اميركية الى فلسطين لفرض التقسيم بقوة السلاح .

ومرة اخرى وقع البيت الابيض بين شقي الرحى .

فمن جهة ، أصر زعماء الحزب الديمقراطي على مساندة الصهيونيين ، لكسب اصوات يهود اميركا بالانتخابات القادمة ..

ومن جهة اخرى ، أصرت نظارة الخارجية على تجنب سفك دماء الفريقين بفلسطين ، وتعريض القوات الاميركية لمواقف حرجة .

ويبدو ان ترومان نفسه ، كان مـتردداً في ارسال قوات اميركية الى فلسطين ، وكان حريصاً كل الحرص ، في عدم تدخل هيئة الامم ، لأن تدخلها يعني اشراك قوات روسية في التدخل المسلح .. وهذا ماتعارضه اشد المعارضة وزارة الحربية الاميركية ومجلس الدفاع الوطني ، حتى لا يُفتح باب الشرق الاوسط امام القوات الروسية ، فتدخله تحت ستار هيئة الامم .

وعلى ضوء هذه الحقائق ، اختارت السياسة الاميركية اهون

الشرين ، وراحت تحاول جاهدة ان تجد تدابير مؤقتة لحل القضية الفلسطينية ، ضمن الحدود القانونية .

وهكذا ، انقسمت الكلمة بين الدول الخمس الكبرى :

بريطانيا ، التزمت جانب الحياد ..

وروسيا السوفياتية ، ارتاحت لما حدث في فلسطين ، لانها كانت ترغب في تفاقم الحالة ، كيما يتسنى لها التدخل .

وفرنسا ، كانت تسعى لايجاد نوع من المصالحة بين الفريقين المتنازعين ..

اما الصين ،فقد طالبت بتدخل سريع ، ومعاملة اليهود والعرب معاملة متساوية ..

وكانت الولايات المتحدة وروسيا السوفياتية ، هما الدولتين الوحيدتين ، الراغبتين في التثبت من الحالة في فلسطين ، وفيما اذا كانت تهدد السلم العالمي .

وفي هذه الدوامة من الآراء المتضاربة ، لم يكن امام مجلس الامن ، الا ان يفرض عقوبات اقتصادية ، او أن يقوم باي عمل ايجابي ، ليحمل العرب واليهود على الاتفاق .

ولكن المجلس ، لم يتمكن من اتخاذ قرار معين ، لعدم توفر الاكثرية المطلوبة لذلك ، وهي سبعة من ١٢ .

وفي التاسع عشر من شهر آذار سنة ١٩٤٨ ، دعا مندوب اميركا وارن اوستن ، مجلس الامن لوقف جميع التدابير المتخذة بشأن تنفيذ قرار التقسيم ، والسعي لاقرار هدنة في فلسطين ، ثم دعوة الجمعية العمومية ، لجلسة خاصة ، للموافقة على اقرار نظام

جديد للوصاية على فلسطين باشراف هيئة الامم نفسها .

وهذا التبدل الفجائي في سياسة اميركا ، كان مستمداً من الفشل الذريع الذي منيت به لجنة الامم المتحدة في اقرار الامن في ربوع فلسطين ، ومن التحذيرات التي تضمنها تقرير ادارة الأمن الوطني ، والقائلة بان اضطراب الحالة في فلسطين ، يهدد مصالح الولايات المتحدة في تلك المنطقة . كما ان الادارة المركزية الاميركية ، اشادت باهمية الشرق الاوسط الستراتيجية ، وبمنابع البترول الغزيرة في اراضيه .

وحيال هذه الحقائق والتحذيرات ، لم يكن امام الرئيس ترومان الا ان ينحني لها ... وهكذا تحول اتجاه السياسة الاميركية .

وقوبل هذا التبدل في سياسة الولايات المتحدة ، من تأييد عنيد لمشروع التقسيم الى الدعوة لاقامة نظام الوصاية ، بالدهشة والاستغراب في دوائر هيئة الامم . فقد كانت الولايات المتحدة حتى الامس القريب ، تؤيد التقسيم ، وتسانده بكل قواها ، بل انها ذهبت الى ابعد من هذا عندما اقترحت اجراء استشارات بين الدول الكبرى والمجلس العسكري الاعلى لهيئة الامم ، لتنفيذ التقسيم .

وأتساءل الآن ، كيف حصل هذا التبدل ؟.

يبدو ان وارن اوستن المندوب الاميركي ، اتخذ لنفسه حق المبادرة بعرض الاقتراح الجديد ، دون أن يُعلمَ البيت الابيض بالامر ..

هذا ما ، يبدو للوهلة الاولى ..

ولكن الحقيقة ، هي ان مشروع اوستن ارسل الى البيت الابيض للاطلاع عليه ، وقام روبرت ماكلنتوك ، احد كبار موظفي نظارة الخارجية وضابط الارتباط في هيئة الامم ،بعرضه على احد مساعدي الرئيس ترومان ، الذي اجابه بعد حين ان البيت الابيض موافق عليه ، وهكذا اعاد ماكلنتوك المشروع الى اوستن ، بعد ان وضع عليه ملاحظة ،تفيد ان البيت الابيض يوافق على مضمونه .

ولكن ، ما ان انتهى اوستن ، من عرض المشروع الجديد على مجلس الأمن ، حتى انهالت عليه الاسئلة من البيت الابيض ، بل ان ترومان نفسه ، طلب الاطلاع على النص كما تُلي فرفع اليه .

ولما لم يبد ترومان اي اعتراض على المشروع ، اعتقد كبار موظفي البيت الابيض ، انه قد حظي بموافقة الرئيس ، فسلم المشروع مجدداً الى نظارة الخارجية التي قامت باذاعته على العالم .

ولم يسلم المشروع الجديد من الانتقاد والمعارضة .

فبينما كان مارشال ، يعلن ان نظام الوصاية ،هو المخرج الوحيد لحقن الدماء ، كان عضو الكونجرس الديمقراطي ارتوكلاين ، من بروكلند ، يصف هذا العمل « بانه افظع عمل تعرض له الشعب اليهودي ، منذ حادثة ميونيخ .. »

كما هاجم حاكم نيويورك الجمهوري توماس ديوي ، المشروع بشدة وعنف ، وكذلك هدد رئيس المنظمة الصهيونية الاميركية

نيومن ،بانه اذا وافقت هيئة الأمم ، على إلغاء قرار التقسيم ، فان الشعب اليهودي سيطالب بفلسطين كلها .

وما ان انقضى يومان على تلك الحملة ، حتى تحدث ترومان موضحاً الموقف ، فقال انه دعا حقيقة ، الى اقامة نظام من الوصاية المؤقتة على فلسطين ، ولكنه نفى ان يكون قد صرف النظر عن مشروع التقسيم .

وفسرت الدوائر السياسية ، هذا التصريح بانه تراجع ظاهر للسياسة الاميركية الجديدة ، التي عرضها وارن اوستن . وقد أيد ذلك ، ان بعض اعضاء الوفد الاميركي في هيئة الامم ،ومن بينهم اوستن نفسه ، ردد قول ترومان ، واعلن ان نظام الوصاية المقترح ، لن يحل مكان مشروع التقسيم ، وانما هو تدبير مؤقت من شأنه تنظيم الادارة في فلسطين ، بعد جلاء سلطات الانتداب عن الأراضي المقدسة .

وأتساءل الآن .. لماذا تجاهل اعضاء اللجنة الدولية ، الذين اوصوا بالتقسيم هذا الموضوع ، ولم يضمنوا تقريرهم اقتراحاً بفترة انتقال كنظام الوصاية ، ريثما تسوّى الخلافات بين العرب واليهود ..؟

على كل حال ، فان هذا الاقتراح الجديد الرامي الى اقامة نظام وصاية مؤقت ، والذي برز كوسيلة لانقاذ الارض المقدسة من ان تصبح برميلاً للبارود ، يؤدي الى حرب عالمية ثالثة في المستقبل ، قد اخمدته اصوات الصهيونية الهائجة وحلفائها .

وفي العشرين من نيسان ١٩٤٨ ، قدمت الولايات المتحدة الى

اللجنة الخاصة الثانية التابعة للجمعية العمومية ، نسخة من «مشروع نظام الوصاية على فلسطين » ، تتضمن مقترحات للوصاية ، شبيهة بالمقترحات التي كانت قد عرضت سابقاً على مجلس الامن ، ولكن هذه المقترحات ، رفضت لعدم موافقة اكثرية ثلثي الاصوات عليها . وقد كان لمحاولات الضغط والاغراء المتواصلة ، التي قام بها اليهود في اميركا ، يضاف اليها بعض الانتصارات التي احرزتها « الهاغانا » في فلسطين ، اثر كبير في ابراز قرار التقسيم ، كأمر واقعي .

وانتهزت الصحف الجمهورية هذه المناسبة السانحة ، لشن حملة شعواء على ادارة ترومان والحزب الديمقراطي لخيانتهما المثل الانسانية وذلك سعياً وراء استمالة اليهود الى جانب الحزب كما كان المنظمات الصهيونية نشطت بالدعاوة لكسب تأييد الرأي العام العالمي ، فاحتلت قصة « الحرب الباسلة » التي يخوضها اليهود بفلسطين ، المكان الاول سواء في الصحف ام في الراديو .

ففي مدينة نيويورك ، عقد الشيوعيون والعمال اليساريون اجتماعاً حافلا ضم حوالي عشرة آلاف شخص ، هاجم الخطباء خلاله ما سموه « بسياسة البترول » التي يتأثر بها المسؤولون الاميركيون . كما انه كان لمساعدة المنظمة الايدكية الوطنية اثرها الفعال ، في اثارة الرأي العام الاميركي ، ودفعه لمناصرة القضية الصهيونية . فقد كان رئيس المنظمة كلارك ايشابرغر من شد المتحمسين لقرار التقسيم وحدث انه عندما عارض كرميت روزفلت ، قرار المنظمة (بوصفه عضواً فيها) القاضي بتخصيص مبالغ ضخمة ، للدعاية لقرار التقسيم ، ان وقف في وجهه

عدد كبير من الاعضاء البارزين ، امثال صمنر ويلز ، واليانور روزفلت ، واصروا على اتخاذ القرار المذكور .

وفيما كان موعد انتهاء الانتداب البريطاني على فلسطين ، يوشك ان يحلّ ، كانت المعارك الدامية في الارض المقدسة ، تزداد عنفاً وشدة ، وكان الرأي العام في اميركا ، حتى الجمعية العمومية نفسها ، يزداد هياجاً واندفاعاً في تأييد الصهيونية ، ولعل ابلغ دليل على تحيز الجمعية العمومية ، هو رفضها السماح للدكتور يهودا ماغنز ، بالمثول امام الاعضاء ، ليدلي بوجهة نظر اليهود غير الصهيونيين في القضية وسماحها فقط للوكالة اليهودية بالتحدث باسم « الشعب اليهودي » .

وقد صرح البرت انشتاين ، مؤيداً موقف الدكتور ماغنز ، فقال : « اننا نتوجه الى اليهود في اميركا وفلسطين بان لا يتركوا انفسهم تتردى في يأس قاتل او في بطولة زائفة قد تؤدي بهم الى مهاوي الدمار والانتحار .. ؟ »

وحريّ بالذكر ان الصهيونيين الذين استغلوا اسم انشتاين وشهرته الواسعة ، من اجل الدعاية لقضيتهم ، تجاهلوا كلمته الحكيمة تلك .

وفي غمرة هذا الصراع الدامي ، راحت عدة منظمات يهودية اميركية تجمع التبرعات الضخمة ، من اجل الدعاية لقرار التقسيم ، وكانت هذه التبرعات تجمع دائماً باسم « المشردين الذين لا مأوى لهم » .

كما ان وفوداً كثيرة من المنظمات واللجان اليهودية ، وغير اليهودية ، زارت البيت الابيض مطالبة بتدخل الولايات المتحدة ،

لانقاذ الدولة اليهودية وهيبة الامم المتحدة .

وفي حدة هذه الدعاية المنظمة ، والاصوات الهائجة ، ارتفعت عدة اصوات مخلصة ، تدعو للتعقل والتفاهم ، ولكنها سرعان ما أخمدت وتلاشت امام تيار الصهيونية الجارف .

فقد حاول وليم توك السكرتير الاول لمنظمة اللاجئين الدولية ، ان يوضح للاميركيين الهائجين ، ان فلسطين لا يمكن اعتبارها ملجأ أميناً « للمشردين الذين لا مأوى لهم » . كما ان صحيفة « نيويورك تايمس » ذكرت في عددها الصادر في ٥ ايار ، احصائيات موثوقة ، تفيد ان غالبية يهود اوروبا المشردين ، كانت قد اعلنت في عام ١٩٤٧ عن رغبتها في الذهاب الى فلسطين ، ولكن ثمانين بالمائة من هؤلاء اليهود يريدون الآن الاستيطان في الولايات المتحدة ، « وانهم لا يرغبون مطلقاً في الذهاب الى الارض المقدسة .. » ولكن هذه الاصوات المخلصة ضاعت ايضاً في ضجيج الدعاية الصهيونية .

وعندما عين الجنرال جون هيلدرنغ ، مستشاراً خاصاً لشؤون فلسطين في نظارة الخارجية ؛ ساد الاعتقاد بان الولايات المتحدة أدخلت تبديلاً جديداً على سياستها فان الجنرال هيلدرنغ ، كان قد صرح امام المجلس اليهودي الخيري ، قبل يومين من تعيينه في منصبه الجديد « بانه يؤيد التقسيم » .

وشيء آخر ..

فقد أعلن وايزمن قبل أيام معدودة من جلاء قوات الانتداب البريطانية عن فلسطين ما نصه :

« لقد تمكنت من توطيد علاقاتنا باصدقائنا في واشنطن ، وتأكدت انه سيتم الاعتراف بالدولة اليهودية في اللحظة التي يعلن فيها عن إنشائها .. »

وفي ١٣ ايار ١٩٤٨ كتب وايزمن رسالة خاصة الى ترومان ، يطلب فيها : **« ان تعترف الولايات المتحدة حالاً بالحكومة المؤقتة للدولة اليهودية الجديدة .. »**

وحتى تلك الساعة ، كانت الجمعية العمومية لم تبطل بعد ، قرار التقسيم الصادر في تشرين الثاني ١٩٤٧ ، كما انها لم تكرر تأييدها له ، بل ظلت تتلهى بمعالجة القضية الطارئة ، وهي كيفية انقاذ الارواح في فلسطين .

وفي هذه الاثناء ، كانت الجيوش العربية تهدد بالزحف الى الارض المقدسة .

وكانت حكومة الولايات المتحدة ، ما تزال — ظاهرياً — تعرض مشروع « هدنة واقامة نظام للوصاية » ، وهي السياسة التي أملتها الهيئات العسكرية العليا .

وفي صباح ١٤ ايار ١٩٤٨ ، تمكن كلارك كليفورد ، مستشار الرئيس الاميركي الخاص — والذي كان على اتصال مستمر بزعماء الحزب الديمقراطي وقادة الصهيونية — من اقناع رئيسه ترومان ، بوجوب القيام بعمل فوري ، لانقاذ الحزب الديمقراطي من هزيمة محققة في الانتخابات المقبلة ، لاسيما وان قادة الحملات الانتخابية في الحزب الديمقراطي ، ابلغوه ان « مشروع الوصاية » الذي عرضته حكومة واشنطن ، سوف يؤدي بترومان وحزبه الى فشل ذريع

وان هناك ثورة داخلية في الحزب ضد ترومان .

وازاء هذه التطورات السريعة ، رأى كليفورد ان من الضروري كسب الاصوات اليهوديه مهما كلف الأمر .

وهكذا اختلى ترومان طيلة يوم ١٤ ايار ، بمستشاريه المقربين وبحث معهم الموقف بصورة جدية ، كما اجتمع الى فرانك غولدمان رئيس مؤسسة « بناي بريث » الصهيونية التي ينتمي اليها صديق ترومان الحميم وشريكه اليهودي القديم « ادي جاكبسون » . كما ان عضو الكونجرس « سول بلوم » ابرق الى ترومان يقول : « ان على الولايات المتحدة ان تعترف بالدولة اليهودية الجديدة وبذلك تساعد على منع نفوذ السوفيات من التغلغل الى فلسطين والشرق الاوسط .. »

وطيلة ذاك اليوم ظل البيت الابيض معتصماً بالصمت المطبق .

وحوالى الساعة الحادية عشرة والنصف من قبل ظهر ذلك اليوم استدعى البيت الابيض الياهو ابشتاين (وكان في ذلك الوقت يمثل الوكالة اليهوديه بواشنطن ، وهو الذي سمي فيما بعد الياهو ايلاث واصبح السفير الاول لاسرائيل في الولايات المتحدة) **وابلغه ان حكومة الولايات المتحدة ، قررت ان تعترف اعترافاً واقعياً بدولة اسرائيل فور اعلانها ، شرط ان توجه الدولة الجديدة كتاباً تطلب فيه الاعتراف بها ..**

واجاب ابشتاين بان الدولة الجديدة ، لا يسعها ارسال مثل هذا الكتاب قبل مولدها (اي قبيل الساعة السادسة مساء حسب توقيت واشنطن) ووعد بان يتصل بتل ابيب ، ويبلغها رغبة

الرئيس ترومان .

جرت كل هذه التطورات الخطيرة في جو بالغ من الكتمان ، بل ان البيت الأبيض قرر ابقاء قرار الاعتراف في طي الكتمان ، وخاصة عن ناظر الخارجية مارشال ، أو أي شخص آخر من موظفي الخارجية ، لتحاشي اي معارضة قد يثيرها ناظر الخارجية ، ولأن نايلز وكليفورد كانا يخشيان ان يعمد ترومان الى تأجيل الاعتراف .

وفي حوالي الساعة الرابعة من بعد ظهر ذلك اليوم ، ترامى الى سمع الجنرال مارشال ، ان الرئيس ترومان ينوي اصدار قرار يعترف فيه بدولة اسرائيل فور اعلانها عند الساعة السادسة ؛ فاتصل بالبيت الابيض يستوثق من صحة النبأ ، فقيل له ان الرئيس ترومان لا يريد ابلاغ الخبر قبل موعد اذاعته الى نظارة الخارجية او الى الوفد الاميركي بنيويورك ، حيث توالي هيئة الامم اجتماعاتها لبحث مشروع الوصاية ، الذي تقدمت به اميركا نفسها .

وقبل حلول الساعة السادسة بقليل ، ابلغ مارشال عدداً من مساعديه القرار الذي سيصدر بعد دقائق .

وفي الساعة السادسة تماماً حسب توقيت واشنطن ، (الساعة ١٢ حسب توقيت القاهرة) أعلن نبأ نهاية الانتداب على فلسطين وفي الساعة السادسة والدقيقة الواحدة ، أعلن قيام دولة اسرائيل الجديدة ..

وفي الساعة السادسة واحدى عشرة دقيقة ، تمّ اعتراف الولايات المتحدة بالدولة الجديدة . فقد دعا تشارلز روس ، الملحق الصحفي في البيت الابيض ، رجال الصحافة الى مكتبه ، وتلا عليهم قراراً

مؤلفاً من سطرين ، يتضمن اعتراف الرئيس ترومان بدولة اسرائيل اعترافاً واقعياً ، وقد شفع القرار بتمنيات الرئيس الامـــيركي للدولة الجديدة ، لاقرار السلام في تلك الربوع ..

.. وبينما كانت الادارة الاميركية في واشنطن تعترف بسيادة اسرائيل واستقلالها ، كان المندوب الاميركي في هيئة الامم ما يزال يدافع عن مشروع الوصاية على فلسطين ..!

وفي هذه الاثناء تلقى دين روسك أوامر من البيت الابيض بابلاغ السفير اوستن قرار الرئيس ترومان ، فتولى نقل النبأ الى اوستن في غرفته في فندق والدورف استوريا .. ومن حسن حظ اوستن انه لم يكن حاضراً آنذاك اجتماع الجمعية العمومية التي كانت تواصل بحثها لمشروع الوصاية الاميركي ..!

وعلى اثر اذاعة النبأ .. انتشرت الشائعات المتضاربة في فلاشنغ ميدوز تحاول ان تفسر الدوافع التي أدت الى اصدار هذا القرار ..

والطريف في الامر ، ان الجمعية العمومية ظلت ، على الرغم من كل هذا ، تواصل عقد اجتماعها الخامس والثلاثين بعد المائة ، برئاسة المندوب الارجنتيني ، لمناقشة مسألة تدويل القدس ، بعد ان تمّ التصويت على تعيين مفوض سامٍ من قبل هيئة الأمم على المدينة المقدسة .

وقد حدث حوالي الساعة السادسة ان وقف مندوب كولومبيا السنيور كونزاليس فرنناذز ، يسأل مندوب الولايات المتحدة ، عما اذا كان في وضع يسمح له ان يؤكد الانبـــاء الواردة في الصحف عن قيام دولة اسرائيل ، واعتراف الولايات المتحدة بها

عقب اعلان مولدها .. فأجابه فرنسيس ساير ، احد اعضاء الوفد الاميركي ، انه لم يتلق حتى الآن ، معلومات رسمية عن الموضوع ولم يتمالك مندوب كوبا عندها ، من ان يقف مبديـــاً دهشته واستغرابه لجهل الوفد الاميركي لهذا الموضوع وقال :

« يبدو لي ان مندوبي روسيا السوفياتية وبولونيا اكثر اطلاعاً على التطورات الاخيرة التي جرت في واشنطن ، من اعضاء الوفد الاميركي نفسه !! »

وخلص المندوب الكوبي الى القول :

« اذا كانت الولايات المتحدة قـــد اعترفت بالدولة اليهودية الجديدة ، فلا حاجة بنا بعد الآن لمناقشة المشروع المعروض على بساط البحث .. »

ولم يمض وقت طويل على هذا الحديث ، حتى وقف البروفسور فيليب جسب ، نائب رئيس الوفد الاميركي ، يعلن ان الوفـــد الاميركي تلقى الآن معلومات رسمية ، يمكنه اطلاع الهيئة عليها ، وتناول ورقة من مساعده ، وراح يتلو مضمونها ، وهذا نصها :

> « لقد تلقت هذه الحكومة ، معلومات تفيد ان دولة يهودية قد قامت في فلسطين ، وهي تطلب الاعتراف بحكومتها المؤقتة . وقد اعترفت حكومة الولايات المتحدة بالحكومة المؤقتة اعترافاً واقعياً كسلطة مسؤولة عن دولة اسرائيل ... »

على هذه الصورة .. تلقى الوفد الاميركي في هيئة الأمم قرار الرئيس ترومان التاريخي .!

ولقد كانت العبارة الواردة في قرار ترومـــان والقائلة :

« ... وهي تطلب الاعتراف بحكومتها المؤقتة . » غير قانونية ، لأن الرئيس الاميركي ، لم يتلق سوى رسالة مؤرخة في ١٤ ايار ١٩٤٨ ، من الوكالة اليهودية ، وموقعة من الياهو ابشتاين ، وتقول : « لقد تقرر ان يذاع نبأ اعلان اسرائيل في منتصف ليل ١٤ ايار .. » وقد كانت السلطة الرسمية على فلسطين في الوقت الذي كتبت فيه هذه الرسالة ، وتلقتها الدوائر المسؤولة في البيت الابيض ، هي السلطة البريطانية المنتدبة دون غيرها ..

ولكن الذي حدث .. انه بعد ٢٤ ساعة من عزم الرئيس الاميركي على اتخاذ مثل هذا القرار ، تلقت نظارة الخارجية الاميركية برقية من الحكومة المؤقتة لدولة اسرائيل ، تطلب فيها الاعتراف بها ..

وهكذا ارتفع في سماء فلسطين ، عند الساعة الثانية عشرة والدقيقة الواحدة حسب توقيت القاهرة ، اول علم لدولة اسرائيل ، كما ارتفع في نفس اللحظة ، نفس العلم في واشنطن ، على بناية الوكالة اليهودية « سابقاً » .

وبينما كان المندوب السامي البريطاني ، السير آلن كوننغهام ، يغادر مرفأ حيفا ، طاوياً آخر عهد للانتداب البريطاني على فلسطين الذي استمر اكثر من ربع قرن ، في تلك اللحظة بالذات ، كان زعماء الصهيونية يعلنون قيام دولة اسرائيل بهذه الكلمات :

« ان هذا العمل ، هو اعتراف من قبل هيئة الامم المتحدة ، بحق الشعب اليهودي في اعادة بناء دولته المستقلة .. وهذا العمل لا يمكن بطلانه .. وزيادة على ذلك ، فهو حق

صريح للشعب اليهودي ، ليكون أمة كسائر الامم ، ضمن دولة مستقلة ..

وبناء عليه ، فنحن اعضاء المجلس الوطني ، الممثل للشعب اليهودي بفلسطين ، والحركة الصهيونية في العالم ، قد عقدنا هذا الاجتماع الرهيب ، واستناداً الى الحق التاريخي والوطني للشعب اليهودي ، وقرار الجمعية العمومية لهيئة الامم المتحدة ، نعلن في هذه الساعة ، قيام الدولة اليهودية في فلسطين باسم دولة اسرائيل ..

ونتوجه بالدعوة الى الشعب اليهودي بأسره في العالم ، ليقف الى جانبنا ، في تسهيل الهجرة ، وانعاش دولتنا ، ومساعدتنا في صراعنا الكبير ، لتحقيق حلم الاجيال في استرداد ارض اسرائيل .. »

وعند اعلان مولد اسرائيل ، رقص الشعب في شوارع تل ابيب وواشنطن ونيويورك وغيرها من المدن ..

وفي شارع ماستشوساتس ، ذرف عدد من الاميركيين دموع الفرح والتأثر عندما سمعوا النشيد اليهودي ، ينشده فريق من الصهيونيين ، بل انهم اشتركوا معهم في ترديد الكلمات العبرية « مازلتوف » أي حظ سعيد ..

ومع ذلك ..

فان الفرح والاستبشار ، لم يعمّا جميع الانحاء ، فقد كتبت صحيفة « غازيت بوست » في افتتاحيتها ، تتهكم على قرارات ليك سكسس قائلة : « لقد كان الوفد الاميركي موضع سخرية باقي الوفود في هيئة الأمم ، وان قرار الرئيس ترومان الفوري القاضي بالاعتراف باسرائيل ، قد ترك حلفاءنا في دوّامة من الغموض والحيرة

كما وضع نظارة الخارجية في فوضى ظاهرة . »

أما صحيفة « رتشموند تايمس » فقد أشارت الى الاصوات اليهودية التي يرجو ان يكسبها الحزب الديمقراطي الحاكم ، في الانتخابات القادمة من جراء ذلك .

في حين هاجمت صحيفة « بوست ديسباتش » في مدينة سان لويس ، السياسة التي اتبعها البيت الأبيض ، والعوامل التي حدت به ، لسلوك هذا المسلك ، ضارباً عرض الحائط بالمصالح الدولية من أجل كسب أصوات اليهود .

استجداء اصوات اليهود

*

في عام ١٩٢٢ ، فُرض نظام الانتداب البريطاني على فلسطين بموجب قرار اتخذته عصبة الامم ، ولم تكن الولايات المتحدة عضوة آنذاك في هذه العصبة ، فلم تشترك اذن ، في اقرار ذلك النظام .

ولكن ، على الرغم من هذا ، اتخذ الكونجرس الاميركي في نفس السنة ، قراراً بالموافقة على فكرة انشاء « وطن قومي يهودي» . كما اتخذ عدة قرارات مشابهة ، لتدعيم هذه الفكرة، في فترات متقطعة ، دون ان تلاقي اية معارضة ، كما أدى عدد من رؤساء الجمهوريات ، خدمات ملموسة للصهيونية ومساندتها في مطامعها .

والكلمات الـ (٦٧) الغامضة الواردة في وعد بلفور ، والتي تضمنها صك الانتداب ، قد ضمنت دوماً موافقة البيت الابيض .

ففي اثناء اجتماعات اللجنة المركزية لنظارة الخارجية ، لبحث مقررات لجنة رايت و كومبتون عن فلسطين عام ١٩٤٤ استشهد « سلوم بلوم » ببعض الفقرات الواردة على لسان الرئيس ودرو

ويلسن والتي يقول فيها :

« انني مقتنع ان الامم الحليفة، مع موافقة حكومتنا وشعبنا، تعلم بان في فلسطين، ستقام الاسس لدولة يهودية « كومنولث ».

وقد استغل دعاة الصهيونية تصريح ويلسن هذا، فرددوه مراراً في دعاياتهم لتدعيم قضيتهم . ويجب القول هنا ، انه لم يصدر عن الرئيس ويلسن مثل ذاك التصريح ابداً .

ففي احدى اجتماعات الممثلين الدبلوماسيين بباريس، وكان روبرت لانسنغ يمثل الولايات المتحدة ، جرت مناقشة حادة حول صحة هذا التصريح ، وقد تضمنت الوقائع الرسمية لهذا الاجتماع ما يلي:

«ان الدبلوماسيين يشكّون في صحة صدور مثل هذا التصريح عن الرئيس الاميركي، ولذلك يجب المبادرة الى الاتصال بالرئيس لسؤاله عن صحته ، وفي حال عدم صدور مثل هذا التصريح عن الرئيس، يجب اذاعة بلاغ بتكذيبه . »

وعندما حضر الرئيس ويلسن، الى باريس يوم ١٣ نيسان، عرض عليه لانسنغ نص التصريح ، وفي ١٦ نيسان بعث الرئيس ويلسن الى وزيره لانسنغ، بالكتاب التالي الى فندق كريون، وهذا نصه :

« عزيزي لانسنغ ،

انني لم اصرح ابداً بهذا التصريح ، وبالتالي فان عباراته لا تدل على انها كلماتي .. ومع ان هذا التصريح المنسوب اليّ عن « تأسيس دولة يهودية (كومنولث) ..» قد سبق قليلًا ما اقصده في الوقت الحاضر ، فان كل ما عنيته هو تعزيز موافقتنا الصريحة لموقف الحكومة البريطانية من قضية فلسطين .. »

وهكذا يتضح جلياً ، ان الصهيونية كانت تعتمد في نشر دعاياتها ، على اقوال مزورة لتدعم قضيتها .

ومع ان مقررات رايت وكومبتون، قد صُرف النظر عنها، فان نتائجها قد استغلت في وسائل الدعاية الصهيونية .

بل ان عدداً من اعضاء الكونجرس الاميركي ، الذين يظاهرون الصهيونية ويؤيدونها ، لم يتورعوا عن تأكيد تصريح ويلسن المزعوم .

وفي عام ١٩٤٥ ، اتخذ الكونجرس قراراً آخر بالموافقة على فتح ابواب فلسطين ، امام اليهود والسماح لهم باستغلال « اقصى امكانيات البلاد الزراعية والاقتصادية » ليتمكنوا من المباشرة بحرية مطلقة في اعداد فلسطين ، لكي تصبح « وطناً قومياً لليهود» وقد جاء قرار الكونجرس هذا ، اكثر شمولاً من التعهد الوارد في وعد بلفور وصك الانتداب ، الذي أقرته عصبة الامم .

وكان من عادة الرئيس روزفلت ، ذاك السياسي الابق ، ان يقول « نعم » لكل انسان ، فقد قال لوايزمن عام ١٩٤٢ ، بانه يرغب في ان تسوّى قضية فلسطين . وفي عام ١٩٤٣ بعث الى الملك ابن سعود برسالة سرية ، يؤكد له فيها بانه لن يطرأ اي تبديل على الوضع في فلسطين ، دون استشارة العرب واليهود .

وفي مالطة عام ١٩٤٥ ، عندما كان الرئيس روزفلت ذاهباً لحضور مؤتمر يالتا ، اعلن لونستن تشرشل عن رغبته الأكيدة ، باحلال السلام بين العرب واليهود ، كما اعلن عن عزمه في مقابلة الملك ابن سعود .

ويقول جيمس بيرنز في مذكراته ، ان رئيس الحكومة البريطانية ابدى تشاؤمه من هذه المقابلة ، ولكنه تمنى للرئيس الاميركي التوفيق .

وبعد انتهاء مؤتمر يالتا ، تمّ الاجتماع بين الرئيس روزفلت والملك ابن سعود ، على ظهر المدرعة الاميركية « كوينسي » ، شرقي البحر المتوسط ، وقد اكد الرئيس الاميركي للعاهل السعودي « انه لن تقوم حركة عدائية ضد الشعب العربي من قبل الاميركيين . »

وقد كتب النائب البريطاني كروسمان ، احد انصار الصهيونية ، فيما بعد يقول : ان الرئيس الاميركي اسرع عائداً من القرم الى وشنطن ، ليؤكد للصهيونيين بان موقفه لايختلف عما صرح من قبل ... »

وقبل وفاة الرئيس روزفلت باسبوع ، بعث برسالة الى العاهل السعودي ، يؤكد له مجدداً عزمه على معاملة العرب معاملة عادلة .

والجدير بالذكر ، ان الصهيونيين كانوا في عهد الرئيس روزفلت على علاقة محدودة بالبيت الابيض ...

فقد كان المجلس الاميركي الصهيوني يضم بضع مئات من اعضاء مجلس الشيوخ الاميركي ، والحكام ، وعددا من الشخصيات ذات النفوذ في مختلف مرافق الحياة .

وقد وضع ١٨١ عضواً من اعضاء الكونجرس في كانون الاول ١٩٤٢ ، بياناً مشتركاً دعوا فيه الرئيس روزفلت « الى اعادة انشاء الوطن القومي اليهودي » .

ولكن الرئيس رووفلت – وهذا ماوصفه به الصهيونيون – كان يبدي عدم مبالاة ظاهرة لهذه القضية ، ومع انه لم يبد اية رغبة صادقة في مساعدتهم ، فان زعماء الصهيونية لم يجرأوا على مهاجمته او معارضة سياسته ، لسبب اعلنه بصراحة الدكتور نيومن فيما بعد ، عندما قال :

« .. لقد كان اليهود في اميركا ، وفي انحاء العالم ينظرون الى روزفلت كأعظم صديق ، وحليف لشعبهم .. وكان من العسير على زعمائهم ، ان يصارحوا اولئك الناس بحقيقة موقف روزفلت لان هناك حاجة نفسانية ملحة ، ترغم الشعب اليهودي ، في ظروفه الحرجة ، على التوجه بالغريزة الى حليفه او حاميه ، واذا لم يكن هذا الحليف تشرشل او ستالين مثلاً .. فلا بد ان يكون روزفلت .

وهذا الاعتماد الغريزي على روزفلت ، كان وليد اعتبارات شتى .. مثلاً ، كان من المحتمل جداً ، ان يعاد انتخابه مرة اخرى ، وان يلعب دوراً كبيراً في تسوية مشاكل ما بعد الحرب ... ولذلك فان كل معارضة ، او مهاجمة له ، معناها خلق صعوبات جمة في وجه الحركة الصهيونية ، واهدافها ، قد تودي بها ... »

ولكن ما ان تسلم هاري ترومان الرئاسة ، بعد وفاة روزفلت ، حتى تبدلت الحالة بالنسبة للصهيونية ، فقد كان خليفة روزفلت الجديد ، حليفاً عملياً للصهيونيين ، بحكم علاقته السابقة بعدد من اليهود .. حتى انه اصطدم ذات يوم بالمستر بيفن ، وزير خارجية بريطانية ، من اجل الصهيونية ، كما انه ارغم نظارة الخارجية الاميركية ، على ان تماشيه في سياسته الودية للصهيونية .

وقد اعتمدت المنظمات الصهيونية كثيراً، على المكتب التنفيذي للبيت الابيض، الذي يرجع اليه الفضل الاكبر، في توجيه اهتمام ترومان الدائم نحو الصهيونية.

وحدث حين انتهت مدة رئاسة ترومان عام ١٩٥٢، ان نشرت بعض الصحف الاميركية، تعليقاً على الدور الذي لعبه دافيد نايلز، احد مستشاري الرئيس الاميركي، فوصفته بانه كان العامل الاول في حمل ترومان، على خلق دولة اسرائيل وانعاشها. اما الفضل في تعيين نايلز في البيت الابيض، فيرجع الى هاري هوبكنز، وقد راح نايلز يترقى بعد ذلك في منصبه، حتى اصبح في عهد ترومان، عضواً في الهيئة المختارة لمستشاري الرئيس السريين، واطلقوا عليه عندئذ لقب « رجل ترومان الغامض » ..

ولكن الدور الحقيقي، الذي لعبه نايلز في القضية الفلسطينية، ظل مجهولاً من الرأي العام الاميركي ..

ففي عهد الرئيس روزفلت كُلف نايلز بمعالجة بعض القضايا المتعلقة بالاقليات، ولكن عندما أثقل كاهل الرئيس بالمسؤوليات الجسام، اضيفت الى عمل نايلز الرئيسي قضايا اخرى .. وهكذا اخذ يتدرج حتى تولى ارفع المناصب في البيت الابيض، وسمي فيما بعد، السفير اليهودي الاول في البيت الابيض.

وعندما تولى ترومان الرئاسة، كانت قضية فلسطين قد احتلت مكان الصدارة، وكان نايلز يوليها كل اهتمامه، فتضافرت جهود ادي جاكبسون، وترومان، ونايلز من اجل اقامة دولة اسرائيل .. والثابت ان نايلز، كان محور الحركة، فقد كان قبل مجيء ترومان

الى البيت الابيض، يبذل المساعي الجدية لخلق الدولة اليهودية حتى اذا ما قامت، ادى لها خدمات جلى:

ففي عام ١٩٥٠، عندما تيقظت الولايات المتحدة للخطر الشيوعي في الشرق الاوسط، طلبت عن طريق ممثليها الدبلوماسيين، معلومات صحيحة من حكومات الدول العربية، عن قواتها العسكرية، والمعدات الحربية التي تملكها، وغيرها من الحقائق الحربية السرية، وقد كانت هذه المعلومات الحربية السرية، ضرورية ليتمّ على ضوئها، تقديم المساعدات العسكرية لدول الشرق الاوسط، وفقاً لقانون الأمن المتبادل.

وقد أعطت حكومة الولايات المتحدة، التعهدات للدول العربية، بان المعلومات العسكرية، التي ستزود بها هيئة الاركان العامة الاميركية، ستظل سراً مكتوماً.

وبعد مضي أشهر قليلة، من تلك السنة، اجتمع ممثلو الدول العربية العسكريون وممثل اسرائيل برئاسة الجنرال رايلي، كبير مراقبي الهدنة، في واشنطن لبحث الاصطدامات الدموية التي جرت قرب مستنقعات الحولة.

وقد ادعى ممثل اسرائيل العسكري، ان القوات السورية قامت باعمال عسكرية متفرقة في عدة مناطق من الحدود.

فرد عليه الجنرال رايلي بقوله: « ليس هذا ممكناً، لأن سوريا لا تملك مثل هذا العدد من القوات، لتستخدمها دفعة واحدة ».

فانبرى ممثل اسرائيل عندها يقول لرايلي: « انك مخطىء في

تقديرك ، فهذه هي الارقام الصحيحة ، للقوات السورية المسلحة ، والوصف الدقيق للتجهيزات العسكرية .. »

ودعم قوله ، بتقديم نسخة عن الارقام ، التي كانت الحكومة السورية قد زودت بها هيئة الاركان الاميركية ، والتي لا يعلم عنها الجنرال وايلي شيئاً !

وعندما اثير موضوع القوى العسكرية المصرية ،ظهرت بين يدي ممثل اسرائيل ، نسخة مماثلة عن قوات الجيش المصري وتجهيزاته .

واستناداً الى التحقيقات ، التي قام بها مكتب استخبارات الجيش الاميركي ، وادارة الامن المركزية ، تبين ان نسخة عن هذه الارقام السرية ، كانت قد وضعت تحت تصرف البيت الأبيض ، اما كيف انتقلت هذه المعلومات الى اسرائيل ، وبواسطة من ..؟ فقد ظل هذا الامر سراً غامضاً مجهولاً ، وان كان الثابت ان نايلز هو الفاعل .

وعلى اثر هذه الفضيحة ، قصد رئيس اركان حرب الجيش الاميركي عمر برادلي ، الى الرئيس ترومان ، وهدد بالاستقالة ان لم ينح نايلز عن البيت الابيض ..

وبعد مدة قصيرة من هذا التدخل ، استقال نايلز من منصبه بالبيت الابيض ، وسافر الى اسرائيل !!.

*

من المسلم به ان تأييد الاثنتين وثلاثين دولة لقرار التقسيم كان وليد اعتبارات انسانية بحتة ، ولكن الثابت ، ان الولايات المتحدة ، وهي الدولة الثالثة والثلاثون ، كانت المسؤولة الوحيدة

عن حمل بعض مندوبي الدول على التصويت الى جانب قرار التقسيم .

اما الدافع الحقيقي لسياسة الولايات المتحدة من القضية الفلسطينية ، فقد أشار اليه بصراحة « ارنست لندلي » في صحيفة واشنطن بوست اذ قال :

« ان سياسة الولايات المتحدة تجاه فلسطين ، قد تأثرت كثيراً بلا شك بنفوذ الصهيونيين الاميركيين ، ولقد كان للسياسة المحلية العامل المسيطر والاول ، في توجيه الوضع بفلسطين لمصلحة الصهيونية .. »

وقد حدث في اثناء مأدبة غداء اقيمت لاعضاء الحكومة الاميركية بالبيت الابيض ، في ٤ ايلول ١٩٤٧ ، ان اقترح الجنرال هانيغان على الرئيس ترومان ، اصدار بيان يؤيد فيه ادخال ١٥٠ الف يهودي الى فلسطين .

وقال هانيغان ان اصدار مثل هذا البيان ، سيكون له الاثر الكبير في زيادة القروض الى اللجنة الوطنية الديمقراطية (وهي اللجنة المشرفة على الحزب الديمقراطي الذي ينتمي اليه ترومان) لان هناك مبالغ ضخمة ،قد جمعت من المتبرعين اليهود حتى الآن ، لتعزيز هذه اللجنة الديمقراطية .

وعلق الجنرال فورستال فيما بعد ، على هذا الحديث بقوله :

« ان النتيجة جاءت مخيبة لآمال ترومان والحزب الديمقراطي معاً ، لانها لم تسفر عن النتائج المنتظرة في حملة الانتخاب بنيويورك ، حيث يملك اليهود عدداً كبيراً من الاصوات .. »

وقد بذل الجنرال فورستال ، إبان حملة الانتخابات ، ما في وسعه ، لكي يقنع كلا الحزبين المتنافسين (الديمقراطي والجمهوري) بابعاد قضية فلسطين عن المعترك السياسي ، حتى لا يستغلها احد الحزبين ، في الدعاية لحملته الانتخابية ، ولكن هذه الفكرة لم ترق ابداً لرئيس اللجنة الديمقراطية هوارد ماكغرات ، الذي قال ان قسماً كبيراً من المبالغ المتبرع بها الى اللجنة الديمقراطية ، انما جاءت من شعب يريدان يثبت ان بامكانه التعبيرعن وجهات نظره في قضايا معينة ، كقضية فلسطين بالذات ..

وانه – اي ماكغرات – لا يمكنه ان يفهم رأي فورستال القائل : بانه يفضل ان يخسر اصوات تلك الولايات على ان يعرّض البلاد باجمعها الى اخطار جسيمة ، قد تنشأ عن الاندفاع وراء قضية فلسطين ، وانه لا يجب السماح لأية فئة من المواطنين في هذه البلاد ، ان تؤثر في سياستنا ، او ان تعرض سلامتنا الوطنية لاخطار لا نعرف نتائجها .. »

ومع كل هذه الحقائق والمساعي ، ظل ماكغرات على عناده ..

وقد كتب فورستال عن محادثاته مع ناظر الخارجية السابق جيمس بيرنز يقول: « بانه – اي بيرنز – لم يوافق على قرار الرئيس ترومان في تحوير «تقرير كريدي» الذي اوصى باقامة دولة فدرالية بفلسطين،او انشاء دولة عربية واحدة هناك. ثم ذكر بيرنز كيف ان الرئيس ترومان ، وجّه انتقادات مرّة الى البريطانيين ،لموقفهم من قضايا فلسطين ، مما احرج موقف رئيس الحكومة البريطانية

اتلي ووزير خارجيتها بيفن .

واضاف بيرنز : « ان المسؤولية الكبرى ، لهذه السياسة الحمقاء تقع على عاتقي دافيد نايلز وسام روزنمان ، المقربين من الرئيس الاميركي ، كما أكد ناظر الخارجية السابق لفورستال ، ان زعماء الحزب الجمهوري لن يوافقوا ايضاً على ابعادقضية فلسطين عن النضال السياسي المحلي ، لان الحاخام سيلفر هو من مؤيدي الجمهوريين ، ومن الاصدقاء المقربين للشيخ الجمهوري تافت » .

وعلى الرغم من كل تلك الصدمات ، فقد واصل فورستال مساعيه في هذا المضمار ، خاصة عندما بدأت نغمة البلدان العربية تزداد عنفاً وشدة علي سياسة الولايات المتحدة ؛ فراح يضاعف من جهوده في اوساط الحزبين ، محاولا اقناعهما بالاتفاق على خطة موحدة ، يسيران عليها في المستقبل ، وتعتمد على وضع مصالح الولايات المتحدة فوق كل اعتبار ، فطلب من قادة الحزبين المتنافسين ، ديوي وستاسن وتافت وماكغرات والجنرال برادلي ان يحصروا اهتمامهم في اهمية الشرق الاوسط الستراتيجية ، وابعاد خطر تسرب السوفيات اليه ، دون التدخل في اوضاعه الداخلية .

وظل يعمل بضعة شهور ، دون ان يتمكن من اقناع حتى المعتدلين من الحزب الجمهوري ، امثال ونتروب ألدريتش وجون فوستر دالز والشيخ ارثر فاندنبرغ .

وكان من جملة الاعضاء البارزين في الحزب الديمقراطي ، الذين تحدث معهم فورستال عن خطته ، عضو الكونجرس فرانكلين روزفلت ، ابن الرئيس روزفلت الراحل ، وكان من اشد انصار

الصهيونية تحمساً ، وقد اطلعه فورستال على ضروب الضغط والمناورات التي يقوم بها بعض زعماء الحزب الديمقراطي ، للضغط على عدد من مندوبي الدول الاجنبية في هيئة الامم ،هذه المناورات التي من شأنها ان تثير فضيحة دولية .

وقد اجابه روزفلت « الصغير » ان من المستحيل على الحزبين ، ان يتفقا على هذه القضية ، لان مثل هذا الاتفاق ، قد يلحق خسارة جسيمة بالحزب الديمقراطي ، بينما يستفيد منه منافسه الحزب الجمهوري .

ورد فورستال على هذا المنطق رداً قاسياً اذ قال : « اعتقد ان الوقت قد حان ، لأن يمعن كل منا النظر فيما اذا كنا سنخسر الولايات المتحدة من جراء هذه السياسة الخرقاء !. . »

وكان من الطبيعي ، ان تشن الصحافة المأجورة للصهيونية حملة شتائم قاسية على فورستال ، وآرائه الجنونية ، وقد تحمل هو لذع السياط الصهيونية مدة طويلة ، حتى من اقرب اصدقائه ،فقد تلقى مرة رسالة قاسية من صديقه برنارد باروخ ينصحه فيها بوقف نشاطه المعادي للصهيونية ، فتجاهل فورستال هذه النصيحة المبطنة بالتهديد ، واستمر في مساعيه ، لانه كان يدرك اهمية الشرق الاوسط الستراتيجية ، ولأن مستشاريه العسكريين اعلنوا بصراحة ، ان اضطرابات خطيرة سوف تنشأ في تلك المنطقة ، بعد جلاء القوات البريطانية عن فلسطين ، ولن يستفيد منها سوى روسيا السوفياتية .

ومن اجل ابعاد هذا الخطر ، قام فورستال بمساعيه المنفردة ،

محاولا ان يحتفظ للولايات المتحدة بمقدار قليل من صداقة العرب.

وقد وصف احد انصار الصهيونية فيما بعد ، فورستال بقوله :
« لم يكن فورستال عدواً للسامية او لأسرائيل كما انه لم يكن متأثراً بمنابع البترول .. ولكنه اقتنع ان قرار التقسيم لا يتفق ومصالح الولايات المتحدة كل الاتفاق ، فعارضه . ومن المؤكد انه لا يستحق ان تشن عليه مثل هذه الحملات الخبيثة ، التي ساعدت على تحطيم جسده وعقله ، ولأن هذه الحملات المغرضة تقف كأبشع مثل على رغبة الساسة وابطال الدعايات في استخدام احقر الوسائل — باسم الوطنية — للقضاء على الرجال المخلصين من ابنائنا !..»

وهذه الكلمات ، هي التي كتبها جيمس ماكدونالد ، اول سفير للولايات المتحدة في اسرائيل ، في كتابه «مهمتي الى اسرائيل».

بالاختصار ، لقد كان فورستال رجلاً بعيد النظر ،فقد ادرك ان منطقة الشرق الاوسط قد تحل مكان منابع الكرايب ، كأعظم مركز للتموين بالبترول في الحرب القادمة ضد الشيوعية .

والامر الوحيد الذي هدّ كيان هذا الرجل الحساس ،وأودى بحياته فيما بعد ، هو ان مشاريعه ومساعيه فشلت ، مع انها لم تكن ملطخة بالدماء البريئة .!

وجدير بالذكر ان كل ما توقعه فورستال قد حدث ..

* * *

بعد مضي اسبوعين على مؤتمر الحزب الديمقراطي عام ١٩٤٨ ، اصدر الرئيس ترومان اوامره الى نظارة الخارجية ، بتعيين جيمس

ماكدونالد سفيراً لدى دولة اسرائيل الجديدة .

والمعروف عن ماكدونالد، انه من اشدّ المتحمسين للصهيونية، ولهذا السبب وقع عليه اختيار البيت الابيض . كما ان هذا التعيين تمّ بناء لرغبة ماكدونالد نفسه .

وقد حدث قبل صدور مرسوم التعيين ، ان عقد اجتماع في البيت الابيض ، حضره كل من دافيد نايلز وكلارك كليفورد والجنرال هليدرنغ وناظر الخارجية مارشال . وأبدى مارشال خلال الاجتماع ، سخطه على هذه التعيين ، كما انتقد بعنف قرار الاعتراف باسرائيل ، الذي تمّ دون استشارة المسؤولين في الحكومة .

والحقيقة ان تعيين ماكدونالد ، سفيراً للولايات المتحدة في اسرائيل ، كان عملاً فريداً في نوعه ، فان ماكدونالد، بالاضافة الى كونه ممثلاً لبلاده لدى اسرائيل ، كان بنظر اليهود يمثل الحزب الديمقراطي الحاكم ، ومهمته هي تزويد الرئيس الاميركي وزعماء الحزب بالمعلومات والارشادات، التي من شأنها الاحتفاظ بالسيطرة على « الاصوات اليهودية » .

ويبرز ذلك واضحاً ، في الرسالة التي وجهها ترومان الى سفيره ماكدونالد بتاريخ ١٣ تموز ١٩٤٨ ، اذ قال فيها ، بعد ان تمنى له التوفيق في منصبه الجديد :

« .. وارجو منك ان تزودني باستمرار ، بالمعلومات المتعلقة بمنع شحن الاسلحة، والوقت المناسب للاعتراف الكامل باسرائيل، وانواع المساعدات المطلوبة للنهوض بالدولة الجديدة . »

ولكن في الساعة التي وعد فيها الرئيس ترومان ، بالاعتراف

الكامل بدولة اسرائيل ، بعث مساعد ناظر الخارجية لوفيت وكبار موظفي الخارجية ، الى السفير يعلمونه بالصعوبات الجمة التي تعترض سبيل الاعتراف القانوني بدولة اسرائيل ، ويرون ان من الضروري ، التريث حتى يستتب الامر لحكومة اسرائيل المؤقتة .

وفي طريقه الى اسرائيل ، عرّج جيمس ماكدونالد على لندن، حيث قابل وزير الخارجية ارنست بيفن ، وبحث معه الاسباب التي جعلت حكومة بريطانيا تتأخر في الاعتراف باسرائيل ، ثم اشار بلطف، الى ان المصلحة المشتركة للحكومتين ، تقضي بان يوجد ممثل بريطاني الى جانبه في تل ابيب ، لمراقبة الوضع عن كثب .

وقد انتفض بيفن لهذه « الغمزة » الخفية ، واحمر وجهه غضباً، ثم اجابه : « لا اريد الآن مناقشة هذه القضية .. »

فأبدى ماكدونالد اعتذاره عندها ، وقال انه لم يوجه سؤاله مباشرة بل اراد تسجيل حقيقة راهنة .

ومن هنا يبدو جلياً ان ماكدونالد كان سفيراً لاسرائيل اكثر منه سفيراً للولايات المتحدة في اسرائيل . وعندما بلغ ماكدونالد جنيف ، قابل حاييم وايزمن ، رئيس دولة اسرائيل المؤقتة ، الذي كان يستشفي هناك ، وبحث معه بعض قضايا الدولة الجديدة ، وقد توسل وايزمن الى ماكدونالد ، ان يذكّر زملاءه في اسرائيل ، بان يوافوه باخبارهم وتطورات القضية في مستشفاه ، بعد ان قطعوا عنه هذه الاخبار .

وفي تل ابيب ، استمر ماكدونالد بانتهاج خطته السابقة في الدعاوة لاسرائيل ، فواصل اتصالاته بالبيت الابيض ، بدلاً من

الاتصال بنظارة الخارجية ، بوصفه تابعاً لها مباشرة .

وفي ٢٤ تموز ١٩٤٧ ، كتب ماكدونالد الى واشنطن يقول « ... وفي رأيي ، وبما ان الرئيس ونظارة الخارجية متفقان على اقرار السلم في ربوع فلسطين ، فانه يجب حصر الجهود في السعي للتمهيد لمباحثات الصلح .

ومن اجل ذلك ، أرى انّ على الولايات المتحدة ، الا تتأثر بوجهات نظر الوسيط ،او الحكومة البريطانية نفسها،لا سيما وان الاخيرة قد بدأت تفقد ثقة اليهود والعرب معاً .. »

وهكذا يبدو ان السفير الاميركي حكم على الكونت برنادوت ، الوسيط الدولي ، بالموت قبل ان يصرعه الارهابيون الصهيونيون.

***

قلنا سابقاً ان دافيد نايلز أدى خدمات جلى للصهيونية العالمية ، وساعد في اقامة دولة اسرائيل ، بما له من نفوذ في الاوساط الاميركية ، وخاصة في البيت الابيض .

والحق يقال ،ان مهمة نايلز لاقت تربة خصبة بين الاميركيين الذين اعتادوا ان يتحمسوا للأسماء والاعمال الطنانة .

ومن ذلك، ان اللجنة التي تألفت لاستقبال « مناحيم بيغن » الارهابي اليهودي ،عند زيارته لأميركا، في نهاية عام ١٩٤٨ لاقت تأييداً كبيراً من بعض الاميركيين ، وكان في جملتهم بعض الشيوخ واعضاء الكونجرس وحكام الولايات وحملة الاقلام وارباب الصحافة ، حتى رجال الدين انفسهم ، فقد اجتمعوا كلهم للاشتراك باستقبال المحتفى به زعيم المنظمة الارهابية « ارغون زفاي ليومي »

ولقد وقف احد الحاضرين يمتدح بيغن قائلاً :

« ان قائد منظمة ارغون زفاي ليومي قام باعمال باهرة اذ تمكن من تنظيم حركة للمقاومة من بعض افراد الشعب الاعزل ، الذي ما زال منذ ألفي سنة يعاني الاضطهاد والشقاء والذي فقد خلالها روح المقاومة العسكرية ، ومع ذلك فقد تحول باعجوبة الى شعب مناضل قوي الشكيمة ، وبفضل هذه المقاومة أعيدت لليهود كرامتهم واحترامهم . ولولا مقاومة منظمة الارغون العنيفة ، لما تقلص النظام البريطاني عن فلسطين ، ولما اتاح لليهود ان يقيموا دولة اسرائيل هناك !. »

وقد قوبل مناحيم بيغن بالحماس والتأييد للاعمال « الباهرة » التي قام بها في فلسطين : من نسف فندق الملك داود بما فيه من النزلاء والخدم الأبرياء ، الى وضع قنبلة موقوتة تحت مبنى القنصلية البريطانية ، الى شنق عدد من الجنود البريطانيين ، الى ذبح النساء العربيات والأطفال في دير ياسين ..!

وعلى الرغم من كل هذه الاعمال الوحشية ، ظل بيغن بالنسبة للجنة الاستقبال الاميركية ، التي أقامت على شرفه حفلة استقبال فاخرة ، بطل اسرائيل والمرشح الوحيد لتولي رئاسة الحكومة في الدولة اليهودية .

وقد صادفت زيارة بيغن الى الولايات المتحدة ، والمعركة الانتخابية على اشدّها ، فكانت فرصة سانحة ، استغلها الحزبان لكسب اصوات اليهود . فقد عمد بعض المرشحين ، زيادة في استرضاء اليهود، الى الايعاز لصحيفة « نيويورك تايمس » لكي تنشر

مقالاً عن بيغن بعنوان :

« الرجل الذي هزم امبراطورية وكسب المجد لاسرائيل » .

وقد عقب حفلة العشاء ، التي أقيمت عـلى شرفه في فندق والدورف استوريا ، استقبال رسمي في قاعة المدينة ، حيث اعلن انصاره ان الغاية من زيارته ، هي جمع التبرعات للعمل على ايصاله الى كرسي رئاسة الحكومة في اسرائيل .

والمعروف ، ان سياسة مناحيم بيغن ، تنادي بضم الاردن والبلدان المجاورة الى اسرائيل ، حتى تتكون الدولة الجديدة من الحدود الاصلية لأرض كنعان . ومع ان نظارة الخارجيـة الاميركية كانت قد قررت عدم منح اذن الى بيغن بـدخول الولايات المتحدة بناء على تقارير تلقتها من مكتب الشرق الادنى وجنوبي افريقيا ورئيس مكتب قسم السمات (الفيزا) ، فقـد وردت اشارة سرية من الرئيس ترومان بوجوب السماح له بالدخول مهما كان الامر .

وهكذا لعبت سياسة الانتخابات للحزب الديمقراطي ،دورها مرة اخرى في توجيه السياسة الخارجية .

ومن البداهة ان معظم الاعمال الارهابية التي قامت بها منظمة بيغن ، خلال فترة الانتداب الاخيرة ، وابرزهـا شنق الضباط البريطانيين وتعليق جثثهم على الاشجار ، ومذبحة دير ياسين ، لا تبررها قوانين او اساليب الدفاع عن النفس المشروعة .

ومع ذلك ، فقد وجد في اميركا نفسها ، من يقيم الحفلات التكريمية على شرف زعيم المنظمة الارهابية ، بـل ويتحمس

لمبادئه المتطرفه ، على الرغم من التحذيرات التي وجهها في ذلـك الحين الدكتور هنري سلوين كوفن والحاخام موريس لازارون والتي ناشدا فيها الساسة الاميركيين الاغبياء ان ينبذوا بيغن نبذ النواة ويطردوه من اميركا .

وبالفعل ، فقد تبرأ عدد من الشخصيات الاميركية البارزة من تأييد بيغن ، عندما وقفوا على حقيقة اعمـاله الارهابية ، فاعلن الشيخ ارثر كابر انه لايعرف كيف حُشر اسمه في احدى الصحف عن قضية بيغن ، كما اعلن الشيخ الديمقراطي هربرت او كنور انه ما كان في يوم من الايام ليؤيد الاعمال الارهابية ، ثم تبرأ من اي علاقة تربطه ببيغن . وكذلك ابرق عضو الكونجرس جون كندي الى لويس برومفيلد يطلب شطب اسمه من لجنة الاحتفال بمناحيم بيغن . وهناك عدد من الشيوخ واعضاء الكونجرس استهجنوا ادراج اسمائهم في لجنة الاستقبال ، دون علمهم او موافقتهم ، ولم يختلف موقف ألبرت انشتاين والبروفسور سيدني هوك ، وغيرهما من كبار العلماء والشخصيات اليهودية المعتدلة ، عـن موقف العقلاء من الاميركيين ، اذ اعلنا منذ اللحظة الاولى معارضتهما لسياسة مناحيم بيغن الارهابية ، التي تشجع العنصرية الدينيـة .

وفي هذه الدوّامة الصاخبة ، واصل مناحيم بيغـن زياراته للولايات الاميركية ، يرافقه عدد من المستشارين لجمع التبرعات . فعقد عدة مؤتمرات صحفية ، شرح فيها اهداف منظمته ، واجاب على عدة اسئلة تتعلق بنسف فندق الملك داود . ومما قاله عن هذه الحادثة الوحشية ان المسؤولية الاساسية فيها تقع على عاتق حاكم

اللواء البريطاني ، لانه – حسب زعم بيغن – تلقى انذاراً من المنظمة ، تعلمه بانها قررت نسف الفندق ، فأبى ان يجلو بقواته عن المنطقة .

وكذلك نفى بيغن التهمة الملصقة به بانه جندي فار من الجيش البولندي ؛ وانه كان عميلا للسوفيات في اسبانيا والصين قبل وصوله الى فلسطين ، وسخر من التهمة الموجهة اليه ، بان ٢٥٠ عربياً من سكان دير ياسين ذهبوا ضحية عصابته الارهابية ، ثم انكرها انكاراً تاماً (ولقد اثيرت مسألة هذه المذبحة فيما بعد ، من قبل الملك عبد الله ، وتلقى جلالته من بن غوريون اعتذاراً وكذلك اعتذرت له الوكالة اليهودية ، واصفة هذه الاعمال الوحشية بانها اعمال تعافها النفس الكريمة) . ولكنه في حديث له مع صحيفة « ريفولت » فاخر ببطولة عصابته واعمالها المجيدة ، وزل به اللسان فأتى على ذكر مذبحة دير ياسين ، وعدّها من الاعمال البطولية التي قام بها مع منظمته !..

وفي مذكراته ، يشير بيغن الى الحماس والتأييد الكبيرين ، اللذين لاقاهما في كافة الاوساط اليهودية والاميركية ، في مختلف الولايات .

ولم يجرؤ يهودي واحد على كتابة ما كتبه المرحوم الدكتور يهودا ماغنز ، رئيس الجامعة العبرية بالقدس ، عندما قال :

« انه من السهل جداً رفع الصوت بالاعلان ان اليهود الارهابيين هم وحدهم المسؤولون عن الجرائم الوحشية التي حدثت في الارض المقدسة ، ولكن من هو المسؤول عن الارهابيين؟..

ان كل واحد منا – اي اليهود – يحمل شيئاً من المسؤولية ، ولكن الوزر الاكبر يقع على عاتق الاميركيين ، الذين ساندوا هؤلاء الارهابيين ... ومن بينهم فريق من الشيوخ واعضاء الكونجرس ورجال الصحافة ودور النشر والكتّاب وعدد من كبار الاغنياء اليهود ، الذين ساعدوا الحركة مادياً ومعنوياً ..»

ومع ان التبرعات التي كان يجمعها بيغن من الولايات المتحدة لا تمت بصلة الى الاعمال الخيرية او الانسانية ، فقد أجيز له جمع مثل هذه التبرعات ، بل واعفيت من الضرائب والرسوم ..!

وبعد ان أتمّ بيغن مهمته عاد الى اسرائيل ، ليحتل مقعداً مرموقاً كعضو في الكنيست (البرلمان اليهودي) الى جانب زميله ناثان فريدمن ، زعيم عصابة شترن (الذي اطلق سراحه) . وفي الكنيست ، واصل بيغن اعماله ونشاطه ممثلاً للجناح اليميني المتطرف من البرلمان ، المعروف باسم « حزب هاروت » والذي يطالب بتوسيع ارض اسرائيل حتى تشمل معظم البلدان العربية المجاورة .

خرافة الاصوات السحرية

*

من الامور المسلم بها ، ان الاصوات اليهودية لعبت دوراً فعالاً في الاوساط السياسية النافذة بواشنطن . فلقد عمد الصهيونيون الى التهويل على رجال السياسة ، مستمدين قوتهم من هذه الاصوات ومن العطف الكبير الذي أغدق على اليهودية الاميركية ، اثر حملة التعذيب والاضطهاد التي شنها هتلر على يهود المانيا وبلدان اوروبا الشرقية ، مما حمل اولئك الساسة على ان يسلموا بمبدأ الوطنية اليهودية ، كحل اخير لتسوية اوضاع اليهود .

ومن هنا نشأ شبه تحالف بين اولئك الساسة وبين الصهيونيين .

ولقد حلت سياسة استرضاء الاقليات الاميركية في الحملات الانتخابية ، مكان المناهج الاصلاحية التي تستهدف المصلحة العامة ، اذ راح قادة كل من الحزبين القويين في الولايات المتحدة يعمل على استمالة الاقليات : الجالية البولونية ، العبيد ، الطائفة الكاثوليكية واخيراً اليهود الذين يقطن ٧٥ بالمائة منهم في ١٤ مدينة من اكبر مدن اميركا ، كما يعيش ٤٢ بالمائة منهم في مدينة نيويورك وحدها .

ومع انه لم يكن هناك ما يضمن تكتل هذه الاصوات الى جانب حزب او مرشح معين ، الا ان قادة الحزبين المتنافسين كانوا يحسبون لها الف حساب ، ويسعون الى كسب تأييدها في كل معركة انتخابية .

ولقد كان للمكافآت المالية ، التي كان ينثرها زعماء الصهيونية ، اكبر اثر واشد دافع للساسة الاميركيين على مضاعفة جهودهم من اجل الوطنية اليهودية .

ففي عهد الرئيس ترومان ، كان باركلي نائب الرئيس ، وغيره من المسؤولين في الحكومة ، ومن اعضاء الكونجرس ، يتسابقون على القاء الخطب والمحاضرات لتأييد الحركة الصهيونية ، لقاء اجور باهظة ؛ فان باركلي مثلاً كان يتقاضى ١٥٠٠ دولار عن كل محاضرة يلقيها .

وهكذا كانت الصهيونية ، عن طريق المال ، تشتري تأييد الساسة النافذين سواء في البيت الابيض او في دوائر واشنطن الرسمية .! وبهذه الوسيلة استطاع زعماء الصهيونية وانصارها ، بما لديهم من مال ونفوذ ودهاء ، ان يمسكوا الحبل من طرفيه ، وينتهجوا سياسة مزدوجة لرشوة الحزبين القويين : الديمقراطي والجمهوري ، اللذين كانا يتنافسان على اكتساب عطف الزعماء اليهود في كل مناسبة انتخابية .

وفي عام ١٩٤٤ ، كانت بيانات الحزب الديمقراطي تتحدث بحماس وتأييد كلي عن انشاء « وطن حر ديمقراطي في فلسطين » دون الاتيان على ذكر كلمة يهودي ، ولكن ديوي المرشح الجمهوري ما لبث

ان عاد يعلن تأييد حزبه « لاستعادة فلسطين كوطن قومي لليهود ».

وفي عام ١٩٤٨ ، وكانت اسرائيل قد نالت اعترافاً واقعياً آنذاك ، عقد الحزب الجمهوري مؤتمره الانتخابي في فيلادلفيا برئاسة الشيخ هنري كابوت لودج ، لمناقشة برنامج الحزب ، والاستماع الى آراء الاعضاء النافذين فيه ، وعند الشروع بدرس قضية اليهود واسرائيل ، سمح اولاً لممثلي المجلس الاميركي اليهودي المناوىء للصهيونية بالكلام ، فعارضوا الاساليب التي ينوي الحزب اتباعها لكسب اصوات اليهود ، ووصفوا هذه الاساليب بانها طريقة مفضوحة للمزايدة على اصوات اليهود .

كما ان نظارة الخارجية وجهت نصيحة الى الشيخ فاندنبرغ ، بان لا يُضمِّن برنامج حزبه اموراً من شأنها ان تزيد نقمة العالم العربي ضد الولايات المتحدة .

ولذا ، فقد اكتفى قادة الحزب الجمهوري بتوجيه التمنيات للدولة اليهودية الجديدة ، دون الاشارة الى تأييد مزاعم اليهود بتوسيع حدودهم ، او تسهيل انضمام دولتهم الجديدة الى هيئة الامم .

وكان من الطبيعي ، ان لا يقابل زعماء الصيهونية في اميركا هذه « التمنيات » بالارتياح فراحوا يثيرونها ضجة صاخبة على قادة الحزب ، ويبذلون الجهود لاقناع النافذين فيه لتعديل سياستهم من اسرائيل ؛ وقد تم لهم ما ارادوا ، اذ لم تنقض اربع وعشرون ساعة على اذاعة البيان ، حتى نال اليهود وعداً قاطعاً من الحاكم ديوي بتأييد مطالبهم كاملة .

اما الحزب الديمقراطي ، فان السنوات الست عشرة التي مرت

عليه وهو في الحكم ، كانت كافية لان تجعله يتقن الاساليب والوسائل التي تمكنه من استرضاء الاقليات في اميركا ، واستمالتها الى جانبه ، لكسب اصواتها .

وتمشياً مع هذه السياسة ، اخذ الحزب ينادي إبان حملة انتخابات ١٩٤٨ ، بتأييد اسرائيل وامدادها بمزيد من المساعدات المالية ، ورفع قرار حظر الاسلحة عنها . وكان يبغي من وراء هذه الدعاية الطنانة ، تذكير الناخب اليهودي بالخدمات الجلى التي قدمها ترومان وحزبه للشعب اليهودي .

وعلى هذا المنوال ، راح الحزبان يتنافسان على استجداء اصوات اليهود بشتى الوسائل .

وحدث عندما عرض الوسيط الدولي الكونت برنادوت ، مقترحاته على هيئة الامم ، لحل الخلاف بين العرب واليهود ، ان انتهز الحاكم ديوي فرصة موافقة ناظر الخارجية مارشال على هذه المقترحات ، وراح يذيع في الاوساط اليهودية ان الحزب الديمقراطي الحاكم قَبِلَ بمقترحات الوسيط الدولي ، التي توصي بضم منطقة صحراء النقب الجنوبية الى العرب . كما اصدر ديوي بياناً مشتركاً مع فوستر دالز ، اعلنا فيه عدم تقيدهما بتلك المقترحات التي وافق عليها ناظر الخارجية مارشال !!

وعندما وصلت هذه الانباء المقلقة ، الى مسامع الرئيس ترومان سارع بدوره الى التصريح بانه لم يطرأ اي تبديل او تعديل على قرار التقسيم ، الذي أقرته هيئة الامم ، وانه لن يتخذ اي قرار جديد الا بعد موافقة أسرائيل . والغريب في الأمر ، انه كان لجون فوستر

دالز ، رأي خاص بالحركة الصهيونية،وهو مستوحى من اشتراكه
في المجلس الوطني للكنائس ، ولذا كان من المفروض ان لا يتأثر
بنفوذ الصهيونية ، ولكن علاقاته الوثيقة بساسة نيويورك جعلته في
غالب الاحيان يغيّر وجهة نظره .

والمعروف ،ان للكنائس المسيحية الاميركية وجهة نظر خاصة ،
وقد أبدتها بصراحة بالنسبة للقدس ، عندما طالبت بجعلها مدينة
دولية ، وتبنى دالز هذه النظرية في بادىء الامر ... الى ان ارغمته
الظروف على تبديل وجهة نظره تبديلاً تاماً .

وعندما بدأت الحملة الانتخابية في عام ١٩٥٢ ، وخلال اجتماعات
مؤتمر الحزب الجمهوري ، نصح ممثل المجلس الوطني الاميركي
اليهودي قادة الحزب ، بان لا يضمّنوا برنامجهم الانتخابي وعوداً
صريحة لاسرائيل ، ولكن عضو الكونجرس جاذبت ، الذي كان
يدافع عن وجهة نظر المجلس الصهيوني في الحزب ، اصرّ على
وجوب معاملة اسرائيل معاملة خاصة ، وكان له ما اراد . وهذا
هو نص الفقرة الخاصة باسرائيل الواردة في برنامج الحزب السياسي :

« .. ان الحزب الجمهوري ، قد أبدى منذ البدء تأييده التام
لفكرة انشاء وطن قومي للشعب اليهودي ، لانقاذ الالوف من
اليهود من التعذيب والاضطهاد، اللذين تكبدوهما خلال سني الحرب
الاخيرة . وان قيام اسرائيل يتفق مع اعمق اهدافنا الانسانية .
وسنثابر على اتمام تأييدنا ، ومهمتنا في تدعيم هذه الدولة، وكذلك
سنستخدم نفوذنا لاقرار السلم بينها وبين الدول العربية . وسنبذل
مافي وسعنا لاحلال الاستقرار الاقتصادي والاجتماعي في تلك

المنطقة . »

وبعد مضي اسبوعين على هذه الحوادث ، اعلن الحزب
الديمقراطي ترشيح الحاكم أدلاي ستيفنسون للرئاسة ،فافتتح حملته
الانتخابية ، بمناقشة برنامج الحزب قبل وضعه واذاعته . وعندما
عُرضت قضية فلسطين والشرق الاوسط على بساط البحث ،
اكتفى زعماء الحزب بالاشارة الى سياسة الحزب تجاه شعوب الشرق
الاوسط دون تمييز بينها. كما ان المساعدات المالية والفنية التي وعد
بها الحزب اسرائيل، وعد بمثلها الدول العربية واللاجئين الفلسطينيين .
ومعنى هذا التبدل الفجائي ، هو ان ساسة الحزب الديمقراطي
شعروا برد الفعل المعاكس في البلدان العربية ، من جراء اندفاع
الحزب وراء تأييد الصهيونية تأييداً اعمى ، واغداق المساعدات
المالية عليها في كل مناسبة .

فلقد وضح ان سياسة الحزب الخاصة بالشرق الاوسط، لم تملها
دوائر البيت الابيض كالسابق ، انما قامت نظارة الخارجية برسمها ،
مستوحية ذلك من مصلحة اميركا العليا .

ثم ان ستيفنسون كان عضواً في الوفد الاميركي لهيئة الامم
وشاهد بأم عينه كيف كانت تتخذ القرارات كلما عرضت
فيه قضية خاصة باسرائيل والدول العربية ، كما انه طالما سمع بيرنز
يشكو ويتذمر من تقلص سلطة نظارة الخارجية فيما يتعلق
بفلسطين ، حتى ان مارشال لم يستشر في موضوع قرار ترومان
القاضي بضم النقب الى اسرائيل ، وكادت تحدث اصطدامات
وخلافات بين ناظري الخارجية مارشال وبيرنز وبين الرئيس

ترومان ، حول هذه القضية بالذات .

ومع ذلك ، فلو ان الفوز كتب لستيفنسون ، فلم يكن من المستبعد ان يبدل موقفه تحت ضغط العوامل السياسية ، تلك العوامل التي حملت ترومان على ان يضحي بمصالح الأمة الاميركية لاسترضاء قادة الصهيونية .

وخلال حملته الانتخابية ، تجنب ستيفنسون التلميح بأي وعد خاص من اجل كسب الاصوات اليهودية ، بل اعلن تحرره التام من ضغط الاقليات على اختلاف طوائفها .

اما الحزب الجمهوري ، فقد اعتمد وسائل الدعاية القديمة التي كان يتمشى عليها روزفلت وترومان من قبله ، وكانت جميع خطبه الانتخابية تتضمن وعوداً صريحة لتأييد اسرائيل ، كما ان ايزنهاور ، أعلن باسمه واسم الشيوخ واعضاء الكونجرس والحكام الجمهوريين ، مساندة الحزب لقضية اسرائيل .

ومثل هذه البيانات ، كانت في الماضي تقيّد الحزب الحاكم ببعض التعهدات ... فهل يحقق ايزنهاور التعهدات والوعود التي قطعها على نفسه ؟

ان الوقت لم يحن بعد ، لنعرف اذا كان الحزب الجمهوري الحاكم ، سيتبع نفس التقاليد التي سار عليها البيت الابيض منذ سنتين في محالفته للصهيونية !

ان الاوضاع قد تبدلت على مرّ الزمن ، وازداد ساسة اميركا تفهماً للاوضاع القائمة في الشرق الاوسط ، وعلاقتها الوثيقة بمصالحهم في تلك الربوع .

ان الرئيس ايزنهاور يمكنه — اذا اراد — ان يضع حداً « لبلفة » الصهيونيين ، وينتهي من مهزلة التنافس لكسب اصوات اليهود ، لاسيما وانه لم يكن مديناً بفوزه الساحق الى هذه الاصوات . واوضح دليل على صحة هذا القول ، انه في انتخابات عام ١٩٤٨ ، بلغ عدد المقترعين في الولايات الخمس الكبرى حوالي ٢٠ مليوناً . ويدّعي الصهيونيون ان معظم قوتهم الانتخابية متجمعة في هذه الولايات الخمس ... ومع ذلك فقد كان الفرق بين الحزب الديمقراطي الفائز ، وبين الحزب الجمهوري الفاشل ١٥٠ الف صوت فقط ! وهذه النسبة لاتتعدى الواحد بالمئة من عدد المقترعين ، مع ان عدد اليهود في ولاية نيويورك وحدها يزيد عن ثلاثة ملايين .

وبالاختصار ، ان احصاءات الانتخابات بددت خرافة تأثير اصوات اليهود على نتيجة المعارك الانتخابية في اميركا . والحقيقة التي لاغبار عليها ، هي ان جميع الاحصاءات الماضية التي جرت حول هذا الموضوع ، أظهرت ان العوامل الاساسية التي تؤثر على طوائف الاقليات ، لاتختلف كثيراً عن العوامل التي تتأثر بها الهيئات الاخرى ، والذي لاريب فيه ، ان العوامل الاقتصادية والاجتماعية لها تأثيرها الفعال ، أكثر من العوامل الدينية او الطائفية .

ومما تقدم ، يتضح انه لايمكن الجزم بصفة حاسمة ، ان اصوات اليهود يمكن ان تنصب كتلة واحدة في صف مرشح معين لتؤمن فوزه .

وقد حدث في عام ١٩٤٨ ، ان الحاخام سيلفر كان يؤيد المرشح ديوي للرئاسة ضد منافسه ترومان ؛ ومع ذلك نال ترومان ٢٣ الف صوت زيادة على اصوات ديوي في اوهايو منطقة سيلفر نفسه. وفي انتخابات عام ١٩٥٢ ، نال ستيفنسون خمسة آلاف صوت زيادة على الاصوات التي نالها منافسه ايزنهاور في المنطقة نفسها ، مع ان الحاخام سيلفر كان يساند ايضاً المرشح الجمهوري . وهذا يثبت ان اصوات اليهود في تلك المنطقة تتأثر باعتبارات وعوامل خارجة عن نطاق الدين او الصهيونية .

دماء ومخاوف

*

في نهاية الحرب العالمية الثانية ، عندما برزت فكرة تقسيم فلسطين بالاوساط اليهودية ، كأمر واقعي ، كان من العسير جداً على اي يهودي ان يناقش الموضوع بحرية .

وعندما قامت اسرائيل ، صار من الواجب على اليهودي الا يتعرض بالنقد لسياسة الدولة الجديدة ، او للمؤسسات والمنظمات الاميركية التي تقدم لها المساعدة . فاذا ما وجّه احد المسيحيين الاميركيين انتقاداً الى هذه الدولة الجديدة ، قامت قيامة الصهيونيين الاميركيين عليه ، واتهموه بانه من اعداء السامية ، واذا ما ارتفعت معارضة يهودية تحاول الوقوف في وجه تيار الصهيونية ، اخمدت في مهدها ، بعد ان يخشى اصحابها ان تلصق بهم تهمة « خيانة اليهودية » . وعلى هذه الصورة ، رُسمت سياسة اميركا المتعلقة بالشرق الاوسط بين بقع الدماء والمخاوف ! فلقد تمكنت الصهيونية من السيطرة على اليهودية الاميركية بسبب جد بسيط هو استغلالها لمبادىء « الانسانية » لتدعم بها سياستها الوطنية

المتطرفة .

وانت ، قد تجد عشرات الالوف من يهود اميركا الذين يكرهون ذلك النوع من الوطنية المتطرفة ، ولكنك لن تجد يهودياً اميركياً واحداً ، يرضى ان يقال عنه انه ضد « المبادىء الانسانية » . وهذا ما فعلته الصهيونية بالذات ، اذ استغلت هذه المبادىء الانسانية ، لتستدر العطف على «ضحايا التاريخ المشردين» ، فوجدت عوناً كبيراً ، ومساعدات قيمة من الصحافة الاميركية ، السهلة الانقياد .

والحق يقال ، إن نفوذ الصهيونية على الصحافة الاميركية كان قوياً جداً ، فقد أبرزت المجلات والصحف وجهة نظر الصهيونية قبل التقسيم وبعده ، بشكل جذاب ، واسبغت عليه لباس العدل والحق والانسانية .

وبذلت بعض الجهود لتحرير الصحافة الاميركية من سيطرة الصهيونية ، ولكنها كانت ضئيلة تافهة ، وسرعان ماتلاشت امام تيار الصهيونية الطاغي . وهكذا اندفعت الصحافة في تأييدها الاعمى للصهيونيين ، متجاهلة حقوق العرب . حتى ان عدداً كبيراً من الهيئات المسيحية ، راح يطالب بحماس ، بدافع ديني وانساني ، بالتعويض على مشردي اوروبا اليهود الذين تحملوا الاضطهاد والتعذيب على أيدي فريق من الاوروبيين المسيحيين . ولايخفى ان الصهيونية ، هي التي كانت تثير مسألة اولئك المشردين ، من اجل الدعاوة لقضيتها . واذا ما حدث ، ان احدى الصحف الاميركية ارادت نشر ما تراه حقاً وعدلاً عن قضية فلسطين ،

انهالت عليها التهديدات من كل مكان ، بحرمانها من الاعلانات . يضاف الى ذلك ، التهديد بادراج اسم كاتب المقال في القائمة السوداء ، واعتباره من اعداء السامية ! ومن الطبيعي ، ان تكون هذه العوامل كافية لمنع اية صحيفة من ان تهاجم الصهيونية او تنتقد اهدافها .

ولذا ، لم تفسح الاّ صحف اميركية معدودة ، المجال امام اعداء الصهيونية لابداء آرائهم ، امثال قادة المجلس الاميركي للصهيونية ، والجمعية المسيحية التي ترأسها دين فرجينا كيلدرسليف ، وبيارد دودج – الرئيس السابق للجامعة الاميركية في بيروت .

وكانت سيطرة الصهيونية على صحافة نيويورك ، اوسع منها في اي مكان آخر من اميركا .

ومع ان المفروض ، الاّ يتأثر رئيس تحرير الصحيفة بالانتقادات التي توجه الى سياسة صحيفته ، الا انه في هذا الموقف بالذات يضعف امام حملات الانتقاد العنيفة ، وامام التهمة البشعة التي تلصق به وهي « عدو السامية » .

ومع ذلك فقد شذت بعض الصحف عن القاعدة وأبدت رأيها بالصهيونية واعمالها دون تحيز او خوف .

ففي تشرين الثاني عام ١٩٤٦ ، وقف رئيس تحرير نيويورك تايمس ارثر سولتز برغر يقول :

« انني اكره اساليب العنف التي يلجأ اليها الصهيونيون ... فهم لم يترددوا لحظة واحدة عن استخدام شتى الوسائل الاقتصادية لاخماد اصوات الذين يعارضونهم في الرأي ، ولهذا ، فأنا احتج

على هذه المحاولات التي يقصد بها خنق اصوات المعارضين لأهداف الصهيونية » .

وهذه العبارة، انما هي صادرة عن رجل اميركي يهودي المعتقد، ورئيس تحرير اوسع صحف نيويورك نفوذاً وانتشاراً .

وهذه الصحيفة نفسها ، وقفت من مشروع تقسيم فلسطين موقف المعارض ، على الرغم من الحملات الشديدة التي استهدفت لها من قادة الصهيونية وانصارها والتي انتهت بمقاطعة الصحيفة .

اما نتيجة هذه المقاطعة ، فقد ظلت سراً مجهولاً ، لم يطلع عليه سوى رئيس تحرير الصحيفة ؛ والذي يمكن قوله عن هذه المقاطعة ، انها كانت تجربة قاسية أفزعت المسؤولين عن الصحيفة .

ومع ان الصحيفة ظلت طيلة مدة المقاطعة ، تنشر الاخبار بطريقة حيادية ، الا انها اضطرت في النهاية الى ان تجعل اخبارها ايجابية بالنسبة لاسرائيل .

وعندما وقف الدكتور هاري جيد ، مدير كلية بروكلن ، يحذر المسؤولين الاميركيين من مغبة حصر اهتمامهم بمساعدة اسرائيل ، دون الالتفات الى مصالح اميركا العليا بالشرق الاوسط ، شنت عليه صحافة نيويورك المأجورة حملة عنيفة ، ووصفته بانه « يعمل على تشجيع العرب للاعتداء على اسرائيل ! » ورفضت ان تنشر رده على الحملة المغرضة عليه .

ومنذ صيف عام ١٩٤٨ ، وبعد قيام اسرائيل ، تعرّض مليون لاجىء عربي للجوع والحرمان والمرض ، وتسرب

المبادىء الشيوعية الى نفوسهم .

فماذا كان موقف الصحافة الاميركية من هؤلاء المشردين ؟!

انها لم تعبأ بهم ، ولم تهتم بمعالجة مشكلتهم لأنهم لاجئون عرب .

وهي وان تعرضت لهم ، فبصورة عاجلة عابرة . وهذا الاهمال الظاهر ، يدعو للاعتقاد بان الرأي العام الاميركي لا يهمه الاطلاع على مشاكل ذلك الشعب البعيد عنه . ولكن الحقيقة هي عكس ذلك تماماً .

واذا كان رؤساء تحرير الصحف الاميركية يتحاشون معالجة مثل تلك المشاكل الانسانية ، فانما لخشيتهم من ان يتعرضوا لاتهامات الصهيونية ، بانهم اعداء السامية والمبادىء الانسانية .

ففي كل مرة كانت احدى الصحف الاميركية تشير الى اللاجئين العرب ، كانت الصهيونية تصفها بانها من اعوان مفتي فلسطين الاكبر وانها من انصار النازية .

وهكذا سُخرت الصحافة ، ومن ورائها اقلام الكتّاب واموال الناشرين ، لخدمة وتأييد اسرائيل الى ابعد حد .

وعلى الرغم من الحملات العنيفة التي كانت تشنها الصهيونية على المؤلفين الاميركيين ، الذين عالجوا مشاكل فلسطين بعين الرجل المنصف ، فقد وُجد فريق من اصحاب الضمائر الحية ، والكتّاب المعتدلين ، الذين أبوا الا ان تكون اقوالهم منسجمة مع مبادئهم الانسانية ، فراحوا يبدون عطفهم على قضية اللاجئين العرب .

وبالطبع شنت عليهم الصحافة الاميركية المأجورة للصهيونية حملات شديدة . وفي مقدمة هؤلاء الاشخاص ، البروفسور ميلر

باروز من معهد ييل ؛ فقد ثارت عليه الهيئات الصهيونية ، والصحافة المأجورة لها ، عندما نشر كتاب « فلسطين قضيتنا » ، ووصفته بأنه خائن لليهود ، كما وجهت اليه مجلة « ارض ولدت ثانية » انتقادات مرّة ، ووصفت كتابه بانه مفكك الاجزاء ، وبعيد عن الحقائق ، ومحشو بالمغالطات والتحامل .

وكان كل انسان يجرؤ على رفع صوته معارضاً او منتقداً السياسة الاميركية الخاطئة ، المؤيدة للصهيونية ، يتهم في المجلة نفسها بانه من الكتلة المؤيدة للعرب ، والمنتشرة في عدة اوساط اميركية ، وبالتالي يعتبر من « اعداء السامية » . فالسيدة دورتي تومبسون ، وفنسان شيان ، والبروفسور وليم هوكنغ ، ورؤساء الجامعات الاميركية بالشرق الاوسط ، واصحاب مجلات ريدرز دايجست ، والتايم ، واتلنتك مانثلي ، وستيوارت اولسوب ، كانوا جميعاً في نظر الصهيونية « اعداء السامية » !

وفي نهاية عام ١٩٤٩ ، قامت حملة باسم لجنة الطوارىء ، للارض المقدسة دعيت باسم منظمة « H.E.L.P » غايتها توجيه انظار الاميركيين الى حالة اللاجئين العرب ، لمساعدتهم والتخفيف من حدة الشقاء الذي يعانون .

وكان يرئس هذه المنظمة ، الرئيس السابق لاتحاد مدارس اللاهوت الدكتور هنري سلوين كوفن ، كما ضم مجلسها حوالي ثلاثين شخصية من رجال الدين والقضاء ورؤساء الكليات والدبلوماسيين والكتّاب والمحسنين . وفي بيانها الاول الذي اذاعته ، دعت لايجاد حل سريع لمشكلة اللاجئين العرب ، ولئلا

تؤول غاية المنظمة الى اهداف سياسية معينة ، او ضد اسرائيل ، اذاع القائمون عليها البيان التالي :

« لا يهمنا ... كيف او لماذا نشأت قضية اللاجئين العرب ، وكل مايهمنا ان هناك مئات الالوف منهم . وواجب منظمتنا ينحصر في توجيه انظار الرأي العام الاميركي الى حالتهم التعسة .. »

وقد قابلت الصحافة الاميركية هذا العمل الانساني بكثير من الفتور ، ولم تخصص للدعاية له سوى مساحة صغيرة . اما الصحافة الصهيونية ، فهاجمت المسؤولين عن المنظمة بعنف وشدة . وعندما انضمت دورتي تومبسون الى اللجنة العاملة في المنظمة راحت صحيفة « جويش اكزامينر » تصرخ معلنة ان السيدة تومبسون تتزعم كتلة انصار العرب ، معتبرة شعورها الانساني لالآم الانسانية وقاحة منها ، لان المتألمين هم من العرب !.

وطوال مدة حياة منظمة « H.E.L.P » القصيرة ، ظلت متمسكة بحيادها وابتعادها عن المشاكل السياسية . ومع ذلك ، فقد كانت ، منذ الساعة الاولى التي ظهرت فيها الى عالم الوجود ، مغرزاً في اعين الصهيونية . فتلقى عدد كبير من النساء والرجال الاميركيين ، نصائح بعدم الانضمام الى هذه المنظمة ، كما طلب الى المنضمين اليها الانسحاب منها ، ومثال ذلك ، ان حاكم ماستشوساتس ، كريستيان هرتر ، كان قد وافق على ان يكون نائب رئيس للمنظمة ، ولكن ما انقضت ثلاثة اسابيع على اذاعة

بيان المنظمة ، حتى قدم استقالته من هذا المنصب ، ذاكراً في
كتاب الاستقالة مانصه : « ان مركزي في المنظمة قدحمل البعض
على الاعتقاد اني اخترت الطريق ضد اسرائيل . »

اما السبب الحقيقي للاستقالة ، فقد ذكره الحاكم لبعض
اصدقائه في حديث خاص ، إذ قال ان عناصر قوية اضطرته لتقديم
استقالته ، يضاف الى ذلك ، ان وفداً من ابناء منطقته الانتخابية
برئاسة احد الحاخامين ألحّ عليه بالاستقالة، كما تلقى مئات الرسائل
بهذا المعنى ، ومنها رسالة من المحاربين القدماء اليهود ،يتهمونه فيها
بانه باع نفسه للعرب !.

وكانت آخر هذه المناورات،ان مدير وكالة« جويش تلغرافيك
اجنسي » جاء يزعم للحاكم هرتر ، ان الاذاعات العربية ، راحت
تتباهى بان منظمة « H. E. L. P. » سوف تقذف بالاسرائيليين الى
البحر !.

والواضح ان الغاية التي قصدها قادة الصهيونية ، من وراء كل
ذلك ، هي هدم كيان المنظمة وعرقلة اعمالها الانسانية الرامية
الى اغاثة اللاجئين العرب البوساء .

وفي كتاب « خالقو القلاقل » الذي اصدرته احدى المنظمات
الصهيونية ، زعمت في احد فصوله ، ان اجتماعاً سرياً تمّ بين عبد
الرحمن عزام ، الامين العام السابق لجامعه الدول العربية ، وبين
عدد من اعضاء منظمة « هالب » ، وزعمت ان غاية الاجتماع هي
الاتفاق على محاربة الدعاوة اليهودية الواسعة في اميركا .

وحيال هذه الحملات الصهيونية العنيفة ، لم تتمكن المنظمة من

الاستمرار في اعمالها ، فتوقفت بعد ثلاثة اشهر من تأسيسها .

وقد تعرض لهذه الحملات الهوجاء المجرمة ، صحف عديدة في
اميركا في طليعتها « ريتشموند تايمس » و « سان لويس بوست »
و « ايفننغ ريكورد » و « دايلي ستار » . وهذه الاخيرة اثارت
مسألة اخلاص اليهود لدولتين في وقت واحد (اسرائيل واميركا).
اما صحيفة « ساتردي ايفننغ » فقد وجهت الصهيونية اليها اعنف
الحملات واقساها ، لانها نشرت في احدى افتتاحياتها مقالاً قالت
فيه : « لنفرض ان هيئة الامم قررت اقامة دولة مستقلة للزنوج في
صميم الولايات المتحدة ، فماذا يكون موقف اميركا ؟! »

وكذلك تعرض الدكتور بيتر مارشال قسيس مجلس الشيوخ
الاميركي ، لحملة عنيفة من الصهيونيين وصحافتهم المأجورة ، لانه
القى موعظة أشار فيها الى سياسة اميركا الغامضة وقال : « ان
بريطانيا غادرت فلسطين من الباب، بينما دخلناها نحن من النافذة،
اعني رئيس جمهوريتنا الذي وضعنا في مأزق حرج باعترافه السريع
باسرائيل ... انه سيكلفنا بذلك خسائر جسيمة ، وسوف
تتحققون بما اقوله قريباً ... »

* * *

ومهما كانت معاملة الصهيونيين لمعارضي قيام اسرائيل ، فانها
لاتقاس ابداً بما لاقاه اليهود غير الصهيونيين .

عندما تألف المجلس الاميركي لليهودية ، لتمثيل اليهود
المعارضين لانشاء الوطن اليهودي ، اجتمع المؤتمر المركزي
للحاخامين سريعاً ، واتخذ قراراً باكثرية ١٣٧ صوتاً ضد ٤٥ صوتاً

يقضي بالغاء هذا المجلس الجديد .

وعلى هذا المنوال ، استمر صراع الصهيونية وضغطها على اليهود الذين أيدوا وجهة نظر المجلس الاميركي لليهودية ، قوياً عنيفاً متواصلاً . ومهما حاول مؤلف هذا الكتاب ان يظهر عنف ذلك الصراع ، لما استطاع الى ذلك سبيلاً، لان هناك فئات عديدة من اليهود ، جماعات وافراداً ، ذهبت ضحية ضغط الصهيونيين ، وفضلت السكوت وعدم اثارة ضجة حولها .

ولهذا ، فقد قررتُ ان اتبسط في هذا الفصل ، فأنشر بعض الحقائق باسهاب ، لانني مطلع على هذه الناحية كل الاطلاع ، وكنتُ أحد ضحاياها .

ففي عام ١٩٤٩ ، كنت قد ضقتُ ذرعاً بالاشخاص الذين نصبوا انفسهم وكلاء للتحدث باسمي واسم غيري من اليهود المعتدلين ، وكنت ادرك تماماً انه يجب الاّ ينفق سنت واحد من أجل انشاء دولة يهودية ، لانها لا تؤلف جزءاً من معتقدي كيهودي ، ولهذا فقد نقمت على الدعاية الصهيونية التي ارادت ان تجعل مواطنيّ المسيحيين يعتقدون ان جميع يهود اميركا يعملون من اجل الدولة اليهودية ، فكتبتُ مقالاً بعنوان « راية اسرائيل ليست رايتي » وارسلته الى مجلة « ساتردي ايفننغ بوست » .

ويبدو ان اصحاب مجلة « ساتردي ايفننغ بوست » لم يكونوا على استعداد للمجازفة بقدرات مجلتهم ، اذ أعادوا اليّ المقال المذكور مذيلاً بالملاحظة التالية : « مع اقتناعنا التام بان مقالك يستحق النشر لما تضمنه من حقائق دامغة، ودراسة قيمة ، إلا أننا

نعتذر عن نشره ، لانه لو كان جميع يهود اميركا يفكرون بنفس العقلية التي تفكر بها انت ، لما كان هناك من مشكلة صهيونية »

ورحتُ اعرض مقالي على كثير من الصحف والمجلات الاميركية الكبيرة ، فاعتذرت كلها عن نشره ، مبدية نفس الاسباب التي أبدتها « ساتردي ايفننغ بوست » ..! الى ان استقر اخيراً في ادارة مجلة « ريدزر دايجست » فوافق رؤساء تحرير المجلة على نشره ، غير عابئين بالحملات الصهيونية التي ستثار ضد مجلتهم الواسعة الانتشار .

ومع ذلك ، كان على المسؤولين عن « ريدرز دايجست » ان يحتاطوا للامر ضد جميع الطوارىء والحملات التي قد تستخدم ضدهم ، فنشروا في نفس العدد الذي نشر فيه مقالي ، مقالاً آخر يعبر عن وجهة نظر الصهيونية كتبه الحاخام أبا هلال سيلفر بعنوان « قضية الصهيونية » ودعوا اثني عشر يهودياً اميركياً ، واطلعوهم على المقالين - قبل نشرهما - فقرروا انها افضل طريقة للتعبير عن وجهات النظر المتضاربة ، وان المجلة قد أدت خدمة عامة بعملها هذا .

ومع ذلك ، فلم يحل المقال دون إثارة نقمة زعماء الصهيونية ، الذين اتهموا اولئك الاثني عشر يهودياً بانهم اعداء الصهيونية ، مع ان من بينهم شخصية يهودية معروفة هي الحاخام ايزادور هوفن المستشار الديني لطلاب اليهود في جامعة كولومبيا .

وعلى الرغم من جميع الاحتياطات التي اتخذت مقدماً ، فقد قوبل المقال المتفجر « راية اسرائيل ليست رايتي » بعاصفة شديدة

من الحملات والانتقادات والتهويشات .

ولم ينجُ كاتب المقال من محنة تعرض لها لفترة من الزمان ، إذ انهالت على رأسه من على منابر المعابد اليهودية ، ومن الصحافة اليهودية ، اعنف الحملات والاتهامات ، وشددت الصهيونية الخناق عليه ، مطالبة المنظمات اليهودية ورابطة مكافحة اعداء السامية ، بان تضع اسمه واسم امثاله بالقائمة السوداء ، وان تتخذ تدابير فعالة بحق هؤلاء اليهود المارقين ، الذين ينعون على الصهيونيين ولاءهم لاسرائيل مع بقائهم اميركيين . كما لم تنجُ مجلة «ريدرز دايجست» ولا رؤساء تحريرها من موجة هذه الحملة الهوجاء .

وحيال هذه الحملات المتواصلة ، تحركت الهيئات الصهيونية واليهودية المتطرفة لاظهار نقمتها وسخطها ؛ فدعت لمؤتمر عام أعربت فيه عن استنكارها الشديد لما ورد في ذلك المقال من مغالطات ، كما قررت اتخاذ التدابير اللازمة بحق المؤلف والمجلس الاميركي لليهودية الذي اتهم الصهيونيين بعدم ولاءهم للأمة التي يحملون جنسيتها ويتمتعون بامتيازاتها .

ولا نعدو الحقيقة اذا قلنا ان تلك التهمة ثابتة ، لان الصهيونيين يفضلون مصلحة اسرائيل والصهيونية على مصالح اميركا العليا .

واستمرت الحملات عليّ عنيفة قاسية ، وهوجمتُ من على اربعة عشر منبر كنيس يهودياً ، واتهمت بالمروق والتجديف على اليهودية ، وكان اعنف انتقاد لاذع تعرضت له ، الانتقاد الذي وجهه اليّ الحاخام ابراهام فلدمان ، راعي معبد « بيت اسرائيل » في هرتفورد حيث نشأت وترعرت .

انه لمن المؤسف ان يُستخدم منبر الله ، لغايات بعيدة كل البعد عن تعاليم الله . لقد وقف الحاخام فلدمان ، يشوّه اقوالي ووجهة نظري ، بصورة لا يرضى عنها الله ولا العدالة ، ثم راح يدعو لتأييد الصهيونية واصفاً إياها بانها حركة انسانية بحتة ، كما نعتَ بانني وحش عديم الاحساس ، لا اشاطر اخواني اليهود آلامهم وآمالهم !.

وعندما زرت هرتفورد بعد عشرة اشهر من نشر المقال ، همس في اذني عدد كبير من اصدقائي اليهود ، بكلمات يؤيدون فيها موقفي ، ولكنهم لم يتجرأوا على ابداء وجهة نظرهم كما فعلت .

والجدير بالذكر ان الحاخام فلدمان ، الذي كان يفاخر بمناصرته للصهيونية ولاسرائيل ، راح يهاجم هذه الدولة بعنف وشدة بعد ان زار تل ابيب واطلع على حقيقة الاوضاع هناك ؛ وقد نشر بياناً باسمه ضمّنه هذه الحقيقة ، اذاعته له الاوساط اليهودية الحرة ، وكان له صدى بعيد في الاوساط الاميركية واليهودية .

***

ولأعد الآن الى سنين خلت .. الى صباح احد ايام السبت ، عندما تلقيت محادثة هاتفية من مجهول ، خاطبني بلكنة اجنبية بقوله : هل انت ذلك الفأر الحقير الذي نشر مقالاً انتقد فيه الحركة الصهيونية في صحيفة بوست ؟!

فسألته ببرود :

— ومن انت ؟

فجاءني الجواب :

— انني جوزف هالوتس ، من الهاغانا ، فاذا لم توقف مقالاتك

فستقتل فوراً لانك تعرقل الخطط التي نصارع من اجلها .

والى هنا انتهت المحادثة .

ومن هذه المحادثة الخاطفة ، التي جرت لي قبـــل نشر مقالي الاخير بسنين ، يمكن الاستنتـــاج ان قادة الصهيونية ، كانوا يحرصون على خنق كل صوت من شأنه ان يثير شكوك الرأي العام الاميركي ، عن وجود معارضة يهودية ضد الصهيونيين .

***

بعد قيـــام اسرائيل ، كانت مشكلة اللاجئين العرب ، هي القضية الانسانية الخطيرة التي تحتاج الى معالجة سريعة . وكانت وكالة الغوث قد اعلمت هيئة الامم المتحدة عام ١٩٥٢ ، بان عدد اللاجئين يقدر بـ ٨٨٠ الفاً . وان هذا العدد الضخم يعتبر عبئاً ثقيلاً على عاتق البلدان العربية من الناحيتين الاقتصادية والاجتماعية .

والسؤال الذي أردده الآن هو : لماذا تعمدت هيئات اميركية مسؤولة ان تقلل من خطورة هذه المشكلة حتى استفحل شرها ؟

والجواب على هذا السؤال ، يكمن في الرسالة التي كتبها عام ١٩٤٩ ، مستشار السفارة الاسرائيلية في واشنطن اذ قال : « ان كل اميركي يبدي اهتماماً بمشكلة اللاجئين العرب ، يعتبر بنظر الصهيونيين ، نصيراً للعرب ، وبالتالي عدواً للسامية !

وفي صيف عام ١٩٥٢ ، اعادت مجلة « فريمن » مقالاً بعنوان : « لماذا سنخسر الشرق الاوسط » الى كاتبه بحجة انه لا يصلح للنشر ... وتشاء الصدف ان يعاد المقال الى الكاتب ، وقد ربطت به سهواً رسالة من احد اصحاب المجلة موجهة الى رئيس التحرير

يحذره فيها من نشر هذا المقال بقوله :

« من واجبك ان لاتنسى نفوذ الصهيونيين وحملاتهم ضد المجلة في حال نشر هذا المقال . » !

وهكذا رفض عدد من رؤساء تحرير المجلات نشر هذا المقال الصريح لانه يضع مصلحة اميركا فوق كل اعتبار .

والحق يقال ان الصحافة الاميركية التي كانت تتغنى بالحرية ، كانت دائماً تفقد هذه الحرية ، عندما تعالج قضية فلسطين والصهيونية على صفحاتها !..

مشاكل الشرق الاوسط

*

يعتبر الشرق الاوسط ، بحكم موقعه الستراتيجي ، حلقة الاتصال بين الشرق واوروبا وآسيا وافريقيا وهو يسيطر على اكثر الطرق الجوية العالمية .

ويعيش في هذه المنطقة حوالي ٤٥ مليون عربي ، يشد أزرهم ٣٥٠ مليون مسلم ، منتشرين في انحاء العالم ، وتغلي نفوسهم بحقد دفين على الغرب . وهذا الحقد المتأصل في النفوس يهدد بالخطر الشديد مصالح اميركا الحساسة في تلك البلدان . وليس هذا وحده يهدد مصالح اميركا ، فهناك ايضاً الاتحاد السوفياتي المتاخم لحدود بعض بلدان الشرق . فان روسيا السوفياتية تقف عند الحدود متحفزة للانقضاض على آبار البترول الغزيرة في ايران والعراق والكويت ، عندما تدق الساعة .

ولا يخفى ان كل تغلغل سوفياتي في اية بقعة من بقاع الشرق الاوسط ، معناه تهديد مصالح اميركا في اليونان وتركيا .

ثم ان الستراتيجية السوفياتية قد لاتكتفي بالقليل، بل قد تشق

طريقها لتنفذ الى مصر ومنها الى شمالي افريقيا .

وقد حاول الروس في مناسبات عديدة ، إبان الحرب العالمية الاخيرة وبعده ، السيطرة على اجزاء من الشرق ، فلم يفلحوا ، فطالبوا مثلاً بالاشتراك في الاشراف على المضايق التركية ، وعمدوا الى اثارة القلاقل والاضطرابات على الحدود الروسية الايرانية عام ١٩٤٦ ، واستعانوا على ذلك بحزب توده الشيوعي في اذربيجان ، ثم ما لبثوا ان اوقفوا نشاطهم في تلك البقعة ، واتجهوا ناحية اخرى حيث شنوا حرب اعصاب على تركيا التي مازالت مستمرة حتى الآن .

ومن جهة ثانية ، راحوا يثيرون بعض العناصر العربية ضد الغرب ومما اذاعوه في دعاياتهم بين الاوساط العربية ، ان هدف روسيا من الموافقة على التقسيم ، هو طرد الانكليز من فلسطين ليس الا .. وهي ليست الا الخطوة الاولى لاخراج جميع القوات الاستعمارية من الشرق العربي وشمالي افريقيا .

وبعد مضي ست سنين على تكهنات جيمس فورستال ، بدأت حكومة واشنطن تقدر سياسة هذا الرجل المخلص ، اذ اتضح لها ان الارض العربية تحتوي على ٥٥ بالمئة من البترول الخام في العالم ، وتقدر الكمية المستخرجة من آبار السعودية والعراق والكويت والبحرين بحوالى مليوني برميل يومياً . بينما لا يزيد انتاج روسيا والبلدان التابعة لها عن مليون برميل يومياً .

وهذه الحقيقة توضح الاسباب التي تجعل السوفيات يتطلعون دوماً الى الجنوب عبر بحر قزوين .

والى هذا الزيت العربي الغزير ، يعود الفضل الاكبر في انعاش

اوروبا الغربية وتعميرها . والى جانب الزيت العربي ، هنـــاك المواقع الستراتيجية الهامة المنتشرة بكثرة في انحاء الشرق العربي، فهناك مثلاً مطارات الحبانيـة والشعيبة في العراق ، والظهران بالسعودية، والبحرين، ومطار هليوبوليس بالقاهرة . وكلها تؤلف حاجزاً قوياً في وجه التوسع السوفياتي ، ما دامت هذه المنطقة تعارض الفكرة الشيوعية .

إنّ قيام اسرائيل وحماس زعماء الصهيونية واندفاعهم في تدعيمها قد احدث ردة فعل قوية في العالم العربي ، لاسيما بين تلك الدول العربية التي كانت لسنين خلت ، متفرقة الكلمة ، فاذا بنقمتها على مسانذي الدولة الجديدة ، وخوفها من توسع يهودي مقبـــل ، يجعلانها تتفق وتوحد كلمتها ، وتعمد الى تقوية الجامعـة العربية ، وتقر مشروع الضمان الجماعي العسكري . كما قام الى جانب ذلك، كتلة اسلامية ممتدة من ايران حتى باكستـان ، اعلنت تأييدهـا ومناصرتها لقضية العرب .

ان كراهية الغربي ، كادت تزول على مرّ الزمن ، من نفوس الشرقيين، بفضل ما قدمته البعثات الثقافية الاميركية والاوروبية من خدمات جلى للنشء العربي الجديد . ولكن جميع هذه الجهود كادت تتلاشى امام السياسة الخاطئة التي انتهجتها الحكومة الاميركية ضد مصالح العرب في فلسطين ، والتي أدت الى قيام اسرائيل ، مع انه كان الاجدر بها ان تتدخل لتسوية النزاع بين الطرفين ، بدلاً من ان تظاهر الصهيونيين ضد العرب .

ولعل ابلغ دليل على سخط العرب على قيام اسرائيل، هو ما

تسمعه من رجل الشارع في اي بلد عربي حين يقول لـك بكل صراحة : « انه يفضل الف مرة التحالف مع روسيا على ان يرى دولة يهودية في ارض عربية (١) » .

والظاهر ان الولايات المتحدة لم تأخذ هذا القول بعين الاعتبار حتى الآن . بينما السوفيات ادركوا تأثيره وراحوا يضحكون في سرهم من غباوة الساسة الاميركيين .

ومما ضاعف نقمة العرب وحقدهم على امـيركا ، مشكلة اللاجئين الفلسطينيين الذين شردهم اليهود عـام ١٩٤٨ ، والذين ينتشرون الآن في البلدان العربية ، يسكنون الخيام ، ويعيشون على الطوى ، رغم المساعدات الضئيلة التي تقدمهـا لهم هيئة الامم

---

(١) في اثناء زيارة قام بها معربا هذا الكتاب للعلامة الكبير الاستـــاذ فارس الخوري ، السياسي العربي الذي رافق تطورات القضية الفلسطينية في هيئة الامم ومجلس الامن ، في منزله بدمشق ، لاطلاعه على محتويات هذا الكتاب ، روى لهما الحادثة التالية التي تعبر بصدق عن شعور العرب نحو اميركا .

قال علامتنا الاستاذ الخوري : « زارني ذات يوم الدكتور ميلر ، رئيس منظمة الصليب الاحمر الدولي ، في الفندق الذي كنت اقيم فيه بجنيف بعد عودته من رحلة قام بها الى الشرق العربي ، لدراسة احوال اللاجئين العرب ، فروى لي انه كان مرة يمسح حذاءه عند ماسح احذية متجول في حمص ، وبعـــد ان انتهى الماسح من فردة الحذاء الاولى ، وهم أن يبدأ بالثانية ، رفع رأسه الى الدكتور ميلر وسأله : « هل انت انكليزي ..؟ »

وعندما اجابه ميلر .. بأنه اميركي .

ازاح الماسح قدم ميلر بعنف وتمتم ببعض الشتائم العربية ثم بصق على الارض وقال بازدراء :

— تفوه .. ترومان .. ثم انصرف دون ان يكمل مسح الحذاء !.

المتحدة. هذه المساعدات التي لاتتجاوز سبع سنتات لكل لاجىء يومياً ! وقد انتشرت في اوساط اللاجئين ، دعايه واسعة ضد السياسة الاميركية ، وهي تقول : « ما أكرم اميركا في معاملة مشردي اوروبا الذين لم تكن هي مسؤولة عن تشريدهم ، وما اقساها في معاملة المشردين العرب ، وهي المسؤولة بصورة مباشرة عن تشريدهم ! » أولم يكونوا ضحايا الضغط الاميركي على مندوبي هيئة الامم لاقرار التقسيم ؟ !

وقد كتب الاستاذ شارل مالك ، سفير لبنان في واشنطن ، ورئيس اللجنة الدولية لحقوق الانسان ، في احدى المجلات الاميركية عام ١٩٥٢ يقول :

« ... اذا كانت اسرائيل ستبقى على عنادها ، وتنال كل ما تريد ، بفضل ماللیهود من نفوذ باميركا ، ولاسباب سياسية اخرى . فجلّ ما اخشاه الا يخيم السلام على الشرق الاوسط ، وستكون اميركا هي المسؤولة عن هذه النتيجة . »

ومنذ عام ١٩٤٨ حتى ١٩٥٣ ، نالت اسرائيل من اميركا بصفة هبات حكومية وقروض ومساعدات اقتصادية وفنية وآلات زراعية وصناعية ، ما يقدر قيمته بمائتين وخمسة وتسعين مليون دولار ؛ باستثناء الستماية مليون دولار ، التي تبرعت بها مؤسسات اميركية يهودية وغير يهودية ، وسمحت الحكومة الاميركية بتحويلها الى اسرائيل ؛ يضاف اليها ريع سندات القروض لاسرائيل الذي يقدر بحوالى خمسمائة مليون دولار . بينما لم تنل الدول العربية السبع التي تحيط باسرائيل ، من المساعدات

والقروض الاميركية الا النزر القليل .

فمنذ عام ١٩٤٨ حتى عام ١٩٥٣ ، نالت دول مصر والسعودية ولبنان وسوريا والعراق واليمن والاردن ، مبلغ ٨٨ مليون دولار للمشاريع الاقتصادية ، كمساعدات وقروض ، بما فيه مساعدات النقطة الرابعه . كما ان هناك مبلغ ١٥٣ مليون دولار مخصص للاجئين العرب وقد وضع تحت تصرف وكالة غوث اللاجئين الدولية . وهذا المبلغ انفق للابقاء على اولئك اللاجئين البائسين احياء ، بعد ان شردوا من ديارهم بفلسطين ، ولم ينفق لتحسين الاوضاع الاقتصادية والزراعية والصحية في البلدان العربية .

اما التحويلات المالية الممنوحة للدول العربية من مؤسسات اميركية خاصة ، فضئيلة جداً بالنسبة للمبالغ الباهظة التي حصلت عليها اسرائيل ، عن طريق الدعاية الصهيونية الواسعة في اميركا .

ومن الواضح ، ان قوة التوازن الدولي هي الآن بايدي الشعوب العربية والأسيوية ، بما لديها من امكانيات ضخمة وموارد طبيعية ، فكان على الولايات المتحدة ، والحالة هذه ، ان تسعى لكسب صداقة هذه الشعوب ؛ ولكنها بدلاً من ان تعمل على هدى هذه السياسة ، خلقت لنفسها اعداء بين هذه الشعوب من جراء سياستها الهوجاء في فلسطين .

لقد وقف مندوبو هذه الشعوب ، التي يبلغ تعدادها ٤٦٠ مليوناً يعارضون هذه السياسة ويطالبون بانصاف العرب ؛ ولا يسهى عن البال ان اصوات الدول التي تغيبت عمداً عن التصويت على قرار التقسيم ، وغيره من القرارات المتعلقة بمصير فلسطين ،

يقدر عدد سكانها بـ ٦٢٠ مليوناً . وبعبارة اوضح ، نقول ان اميركا تبنت قضية لم تنل سوى ٣٣ ونصف بالمئة من تأييد العالم باجمعه ، بينما عارضها ٢٩ بالمئة ، وامتنع عن التصويت ٣٧ بالمئة .
وقد يسوء اميركا ، ان يعرف المرء ان هناك ٤٠٠ مليون آخرين معارضون للتقسيم ، هم سكان شمالي افريقيـــا وبورما ومنشوريا واندونيسيا واليابان ، إذ لم يكونوا اعضاء في هيئة الامم عام ١٩٤٧ ، ولم يطلب اليهم ابداء رأيهم في هذه القضية . وكما يقول المثل الاميركي « ان الولايات المتحدة وضعت جميع بيضها في اصغر سلة بالشرق الاوسط . »

وفي احدى اجتماعات الجمعية العمومية لهيئة الامم عام ١٩٥٢ ، اقترح ثمانية من مندوبي الدول الصغرى على الهيئـــة ، مشروعاً يقضي بدعوة الدول العربية واسرائيل لتسوية خلافاتهما ، ولكن مندوبي الدول العربية رفضوا المشروع ، مشترطين قبل البحث فيه ، ارغام اسرائيل على تنفيذ قرارات هيئة الامم ومجلس الامن الدولي ، بشأن تدويل القدس ، وحق العرب الفلسطينيين بالعودة الى ديارهم .

وهذا المشروع ، كانت اللجنة السياسية الخاصة قـــد أقرته باكثرية ٣٢ صوتاً ضد ١٣ ، وتغيب الكتلة السوفياتية . وعندما أحيل الى الجمعية العمومية لاقراره بصفة نهائية ، انضم الى الدول العربية والاسيوية المعارضة للمشروع ، سبع دول من جمهوريات اميركا اللاتينية ، وبذلك رفض المشروع ؛ والسبب الذي دفع هذه الدول للوقوف الى جانب الكتلة العربية والاسيوية ، هو

تصريح نشرته « نيويورك تايمس » لدافيد بن غوريون قال فيه : « ان قضية القدس أمر واقعي ، فلا يجب البحث فيه . »
والمعنى الواضح لهذا القول ، هو تحقير صريح لقرارات هيئة الامم ، التي اتخذت ثلاثة قرارات متتالية بوجوب تدويل القدس ، ومنحت كافه الصلاحيات للجنة التوفيق الدولية ، لاتخاذ الخطوات اللازمة للتدويل .

وحتى الآن ، مازالت القدس القديمة بايدي السلطات الاردنية ، بينما اصبحت القدس الجديدة عاصمة لاسرائيل رسمياً . هذا مع العلم ، ان عدداً كبيراً من البعثات الدبلوماسية ، بما فيها سفارة اميركا ، رفضت الانتقال الى القـــدس الجديدة واحتفظت بمراكزها في تل ابيب .

والجدير بالذكر ، انه في الدورة النهائية للاقتراع على اجراء مباحثات بين العرب واسرائيل ، وقفت الكتـلة السوفياتية الى جانب العرب ، كما أيدت شكوى شمـــالي افريقيا ضد فرنسا وانكلترا واميركا .

وهكذا اتسعت الهوة بين الدول العربية واميركا ، واصبح إيمان العرب بالنظـام الديمقراطي ضعيفاً ، بينما زاد اقتناعهم بان الروس هم حماة الحرية والمدافعين عن الشعوب الصغيرة المستضعفه .
وبينما كانت المانيا الشرقية التي يسيطر عليها السوفيات ، تتودد الى العرب ، راحت المانيا الغربية ، بضغط من اميركا ، تحاول استرضاء اسرائيل ، فوافقت على دفع مبلغ ٧١٥ مليون دولار كتعويضات لليهود عن الخسائر والاضطهاد التي انزلها بهم الحكم

النازي ، كما وافقت على دفع ١٠٧ ملايين دولار الى ٢٢ مؤسسة يهودية في اميركا ، مقابل الاملاك اليهودية في المانيا .

والطريف في الامر ،انه لكي تتمكن المانيا الغربية من تسديد هذه التعويضات ،وافقت اميركا على منحها القروض اللازمة ؛ولما كانت الدول العربية ، تعتبر نفسها في حالة حرب مع اسرائيل فقد اعترضت على هذه التعويضات ،واعتبرت موافقة المانيا الغربية عليها خرقاً للحياد ، مستشهدة بموقف المانيا الشرقية التي رفضت دفع مبلغ ٥٠٠ مليون دولار، طالبت بها اسرائيل كتعويضات .

ويجب الاعتراف في هـــذا المجال ، بان وضع اسرائيل من الدولتين الكبيرتين ، روسيا واميركا ، لا يزال قوياً .

فهي من جهة ، تستمد قوتها من معونة العناصر اليهـــودية الشيوعية التي اتخذت اسرائيل وطناً لها ، وراحت تنشر مبادئها الشيوعية في ارض فلسطين ، دون ان تقطع اتصالها بالكرملين .

ومن جهة ثانيـــة ، استمر قادة الصهيونية في سياستهم المعتادة ، وهي التغرير بالساسة الاميركيين ، والتأكيد لهم في كل مناسبة، بان اسرائيل لن تكون الا دولة ديمقراطية قلباً وقالباً .

خرافة الشعب المختار..!

*

ان جميع مشاكل فلسطين تدور حول سؤال واحد :

ما هي اليهودية ؟

إن اسرائيل تضم اليوم شعباً يتكلم لغة واحدة هي العبرية الحديثة ، ولها حكومة منبثقة عن هذا الشعب ترعى مقدراته .

وفي اسرائيل ايضاً شعب يدين بالايمان اليهودي، ويحمل في الوقت نفسه الجنسية الاسرائيلية . مع العلم ان هناك طائفة كبيرة من اليهود تعيش خارج هذه الدولة الصغيرة وتحمل جنسية هي غير الجنسية الاسرائيلية . وليس في هذا الامر ، ما يدعو الى الدهشة او الاستغراب . فالعالم مليء بشتى الشعوب التي تشارك غيرها المعتقد الديني ، ولكنها لا تشاركه الجنسية .

وهكذا ، فان الرابطة المشتركة التي تجمع بين اليهود المقيمين في اسرائيل وبين يهود العالم ، تقتصر على الناحيـــة الدينية فقط ، لا على الجنسية الاسرائيلية الجديدة التي قامت مؤخراً ، نتيجة قيام الدولة الجديدة .

ومع ان الشعب اليهودي ، اصبح لا وجود له منذ عام ٧٢ ميلادية ، الا ان الشعور الوطني ظل حياً في نفوس اليهود على مر الاجيال ، يدفعهم للعمل على جمع شعب هذه الأمة المتفرقة واعادة انشاء دولة يهودية ، واستعادة مجدها الغابر .

وبقيام اسرائيل ، اعتبر الشعب اليهودي ، انه استعاد كيانه مجدداً ، وان الدولة الجديدة هي الوطن القومي لكل يهود العالم. وقد اعتمدت الوطنية اليهودية في دعاياتها الواسعة بالاوساط اليهودية ، على التعاليم الدينية وعلى ان اليهود هم شعب الله المختار، كما ورد ذلك في التوراة .

واطلق قادة الصهيونية ، على اليهود الذين يعيشون خارج اسرائيل ، لفظة « المشتتين » ، وقالوا ان وضعهم الحاضر ليس طبيعياً ، لانهم يعيشون في المنفى !. وانه لا بد من جمع شتاتهم واعادتهم الى اسرائيل ليساهموا في بناء الدولة اليهودية «العتيدة» !

وعلى هذه الاسس الدينية والتاريخية « اعتمدت الصهيونية في دعاياتها لتحويل اليهودية من دين موحد الى حركة سياسية ، لتخلق منها أمة يهودية لها طابعها السياسي ضمن ارض فلسطين . الا ان فريقاً كبيراً من يهود العالم ، ظل على الرغم من قيام اسرائيل ، لا يعتبرها الموطن الطبيعي الذي يتوقف عليه مصيره وكيانه .

ولهذا ،كان هدف الصهيونية منذ البدء ، جمع شتات اليهود من انحاء العالم واقناعهم بالعودة الى صهيون .

وفي نشيدهم القومي المعروف باسم« هاتكفا »ادعاء صريح بان

اليهود هم شعب واحد ، وان اسرائيل هي دولتهم العتيدة !

لقد كانت نظرة الاميركيين الى اسرائيل ،تنحصر في انها ملجأ امين لليهود ، ولهذا السبب منحوها مئات الملايين من الدولارات لتستطيع العيش والصمود .وقد دفع ذلك بالوف من يهود اوروبا الذين يعيشون في اسرائيل ، الى الاعتقاد بان هذه المساعدات المالية الاميركية ،لاتمنح لهم بدافع انساني فحسب ،وانما للاعتراف بعقيدتهم الوطنية .

ويجب التنويه بان آلاف اليهود الاميركيين الذين انضموا الى الصهيونية عقب قيام اسرائيل ، لم يذهبوا جميعهم الى فلسطين ،فقد بقي قسم كبير منهم في اميركا ، بينما قصد عدد محدود اسرائيل ، وهؤلاء لم يذهبوا لانشاء دولة هناك ، وانما للاستيطان بالارض المقدسة ، بدافع ديني بحت .

وعندما زار موسى مونتيفيوري فلسطين عام ١٩٣٧ ، كان عدد اليهود فيها لايتجاوز تسعة آلاف شخص ، فأبدى استعداده لمساعدة جميع اليهود الذين يرغبون بالعودة الى الارض المقدسة لاستيطانها ، متكفلاً بدفع نفقات اليهود العائدين ، وجاء من بعده البارون روتشيلد يكمل هذا العمل .

والحق يقال ، ان هذه الاعمال لم تقلق بال العرب ، في بادىء الامر ولم يعارضوها لانها لم تكن تخفي نية سيئة مبيتة .

وفي عام ١٩٠٣ ، اعلن هرتسل انه يؤيد الاقتراح البريطاني القاضي بانشاء وطن قومي لليهود في مقاطعة « اوغنده » الافريقية مستعمرة « كينيا » حالياً . وهذا العرض كان قد تقدم به جوزف

تشمبرلن واللورد لاندسدون الى هرتسل بالذات .

وعندما طرح المشروع على بساط البحث في المؤتمر العام للصهيونية سنة ١٩٠٥ ، وقف شاب روسي من مدينة « موتول » بمقاطعة منسك ، يعارضه بشدة ، ولم يكن هذا الشاب سوى حاييم وايزمن . ورغم المعارضة الشديدة التي لاقاها وايزمن وانصاره ، فقد أصروا على موقفهم ، ولم يقبلوا عن فلسطين بديلا ، وكانت لهم عبارتهم المأثورة : « فلسطين او لاشيء ! »

لقد كانت ممارسة الطقوس الدينية اليهودية ، بالنسبة لهم ، لا تكفي لان يصبح الانسان يهودياً . (لان الاغلبية منهم لا يهمها من اليهودية سوى الحركة السياسية) . واليهودي في نظرهم ، هو الذي خُلق يهودياً ، واسرائيل هي وطن اليهود ، لان نعرة الكراهية للسامية لا يمكن ان تمحى من على الارض ، ولان اليهودي لايستطيع العيش بحرية وهناء خارج اسرائيل .

وهذه الفلسفة اليائسة ، كانت وما زالت فلسفة الصهيونية ، وعلى أسسها قامت دولة اسرائيل ، لانها كانت دوماً تتردد على الأفواه : « ان لا كرامة لليهود الا عندما يعيدون انشاء دولتهم ذات الطابع اليهودي من حيث اللغة والعادات والثقافة والحكومة . »

وقد تعمدت الصهيونية اغفال الدين من القائمة ، لانها كانت منذ نشأتها لاتعبأ بالمعتقد الديني اليهودي ، ولا يهمها منه الا استغلال معتنقيه من اجل تدعيم اهدافها .

وفي اميركا ، كان من الصعب نشر مبادىء الصهيونية ، لان اليهود لم يتعرضوا هناك لاي نوع من التعذيب والاضطهاد .

لذلك ، عمدت الصهيونية الى استغلال بؤس مشردي اوروبا وتعاستهم في بث دعوتها فلاقت التأييد ، واذا بيهود اميركا يغدون من أشد انصار الصهيونية تحمساً ، مع انهم لم يتعرضوا لأي اضطهاد او تعذيب ، واذا بهم يحملون راية الصهيونية ويعملون على انشاء دولة يهودية في الارض المقدسة .

واذا كان حاييم وايزمن يعتبر نابغة الصهيونية السياسي ، وهرتسل فيلسوفها ، فان آحاد حاييم هو أب الصهيونية الروحي (واسمه الحقيقي آشار جنسبرغ) . فقد كانت مهمته تنحصر في احياء الثقافة اليهودية وازدهارها ، ونشرها في الاوساط الاميركية وسط هالة من روحانية الدين . وقد تحدث في رسالة بعثها الى وايزمن عام ١٩١٨ ، عن فكرة انشاء جامعة عبرية ، يمكنها ان تكون المركز الحقيقي للثقافة العبرية . وبالفعل لم ينقض سبع سنوات على هذه الرسالة ، حتى ظهرت جامعة القدس العبرية الى عالم الوجود .

والواقع ، ان قادة الصهيونية من الاميركيين الأولين ، كانوا من العلماء البارزين ، الذين يدينون بالمبادىء الانسانية الحقة ، امثال آحاد حاييم الذي كان لا يقتصر عمله على الناحية السياسية فحسب ، بل تعداه الى الثقافة والتربية ؛ والجدير بالذكر ان اغلب التبرعات الاميركية لليهود ، كانت تخصص في ذلك الحين للجامعة العبرية .

وكذلك كان موقف الدكتور يهودا ماغنز ، وألبرت

انشتاين ، والقاضي لويس برندايس ، الذين وجهوا جهودهم نحو فلسطين ، وحصروها في تدعيم الجامعة العبرية والعمل على ازدهارها . وكانوا يعلنون في كل مناسبة ، انهم يعارضون بقوة كل محاولة لصبغ اليهودية بطابع سياسي .

وعند وفاة حاييم وايزمن عام ١٩٥٢ ، اتصل دافيد بن غوريون بالسفير الاسرائيلي بواشنطن ، وطلب اليه ان يعرض على ألبرت انشتاين منصب رئاسة الجمهورية الاسرائيلية ، وينال منه وعداً بالقبول في حال انتخابه رئيساً للدولة .

وفي الوقت نفسه ، رشحت صحيفة « ماغريف » اليهودية بتل ابيب العلامة انشتاين للرئاسة ، وراحت تؤكد ترحيب العلاّمة بهذا المنصب ، معلقة على ذلك بقولها : « ان انشتاين هو منا ولنا ... وليس لجامعة برنستون ! »

ولكن مجرد دراسة بسيطة لنزعة انشتاين وعاطفته تجاه اسرائيل ، تظهر لنا بوضوح ان العلامة الكبير لا ينتمي لاسرائيل ، كما ادعت الصحيفة اليهودية ، وانما كان اهتمامه منصباً منذ البداية في انعاش الجامعة العبرية بالقدس . وقد حدث إبان الصراع العنيف بين وايزمن وبرندايس ، ان وقف انشتاين الى جانب برندايس ، وأيد موقفه في مناهضة الحركة الصهيونية واهدافها المتطرفة ، وظل دوماً يقصر اهتمامه على مساعدة الجامعة العبرية من الوجهة العلمية ، حريصاً على عدم الانغماس في المشاكل السياسية .

وعندما مثل انشتاين امام لجنة التحقيق الاميركية - البريطانية عام ١٩٤٦ ، أجاب على سؤال وجهه اليه احد الاعضاء

عما اذا كان يرى من الضروري انشاء دولة يهودية لحل قضية اللاجئين اليهود ، فقال :

« ان فكرة انشاء دولة يهودية لا تلاقي هوى في نفسي ، اذ اني لا افهم الحاجة الى قيام هذه الدولة .. واقول انها وليدة فكرة نبتت في رؤوس فريق من اليهود اصحاب العقول الضيقة .. ثم ان الصعوبات الاقتصادية كفيلة بأن تقضي عليها ، ولذا ، فاني اعتقد انه من الخطأ التفكير بانشاء مثل هذه الدولة ، التي كنت وما زلت ضدها .. »

وفي ربيع عام ١٩٥٢ وجه انشتاين رسالة الى مؤسسة اطفال فلسطين قال فيها « لقد اصبح من الضروري كبح جماح الوطنية المتطرفة التي برزت في اسرائيل ، حتى يعيش الجميع هناك في صداقة ووئام مع العرب ... »

ويبدو ان هذا المقطع من رسالة انشتاين لم يرق لسكرتيرة المؤسسة اوليفيا بيريل اذ حذفته من اساسه عندما وزعت الرسالة على الصحافة الاميركية لنشرها .

وبسبب هذه الرقابة الصهيونية الحمقاء ، التي سمحت لنفسها ان تشوه رسالة انسانية ، فقد قصدتُ جامعة برنستون وأبديتُ لأنشتاين وجهة نظري بصراحة ، وكان جوابه لي ، انه يستنكر هذا التدبير ، وقال انه ما كان في يوم من الايام صهيونياً او من مؤيدي قيام دولة اسرائيل .

وبهذه المناسبة اطلعني انشتاين على محادثة جرت بينه وبين وايزمن ، وكان ذلك قبل قيام اسرائيل ، فقد طرح على الزعيم

الصهيوني السؤال التالي :

– ماذا سيكون موقف العرب اذا أعطيت فلسطين لليهود .؟

فاجابه وايزمن :

– من هم هؤلاء العرب الذين تتحدث عنهم .. ؟ فليس لهم أدنى همية .. !

وكتب البروفسور فيليب فرانك مشيراً الى رفض انشتاين منصب رئاسة الجمهورية الاسرائيلية فقال : « لقد رفض انشتاين بطريقة مهذبة منصب رئاسة الجمهورية، بحجة انه لا يتمتع بالكفاءات التي تؤهله لتسيير شؤون الدول السياسية . »

ومع ان رفضه لهذا المنصب ، قد اعتبر في الاوساط السياسية النيويوركية صدمة قوية لاسرائيل ، الا ان الصهيونية مازالت تستخدم اسمه في تقوية معنوية دولتها وزيادة رأسمالها السياسي في العالم .

وهناك مغزى رمزي تضمنته المصادفة الغريبة .

فقد كان منشىء الصهيونية الحديثة وايزمن كيماوياً ، وكانت سياسته مزيجاً مركباً من اغرب العناصر التي يصعب التوفيق بينها . اذ كانت تحوي عناصر من اليهود المتطرفين واخرى من اليهود المترددين الخائفين ، يضاف اليها سخاء اميركا الحاتمي وحماسة اليهود الدينية ، وشهوة الحكم والسيطرة عند الملحدين منهم . كل هذه العناصر المتنافرة تمكن وايزمن من جمعها في بوتقة واحدة واسبغ عليها طابع الانسانية ، ليحميها من اي مقاومة او انتقاد خارجين ، يضاف الى كل هذه العوامل الايجابية المساعدات

القيمة التي قدمها ساسة الانكلوسكسون المسيحيين – امثال بلفور ولويد جورج وتشرشل – ونفوذ بعض الاسر اليهودية غير الصهيونية ، امثال بيوتات مورنتيفيوري وروتشيلد وتشيف ووارنبرغ وروزنوالد ومارشال وليهمان ومورغنتاو .

والغريب ان هذه الاسر كانت لسنين خلت تكره الصهيونية واساليبها الملتوية .

ففي عام ١٩١٧ ، القى ارفين ليهمان شقيق الشيخ الاميركي هربرت ليهمان ، كلمة في حفل ضم عدداً من زعماء اليهود جاء فيها : « انني اتوجه الى الصهيونيين المتحمسين منكم فاقول بانه لا يمكننا سياسياً الا ان نؤلف جزءاً من امة واحدة ، وهذه الأمة هي اميركا ، ويجب على اليهود ان لا يعيشوا في اميركا منكمشين على انفسهم ، وانما عليهم ان يحافظوا على تقاليدهم وطقوسهم الدينية ويوفقوا بينها وبين الثقافة الاميركية . ولا يسعني ان اتصور لحظة واحدة ان بامكان اليهود ان ينشئوا امة بكل ما لهذه الكلمة من معنى . فنحن اليهود في اميركا تربطنا بيهود العالم رابطة المعتقد الواحد التي يتألف منها ارثنا الديني المشترك . ولا يمكننا ان نرتبط معهم بروابط وطنية . فنحن نحمل الجنسية الاميركية ، وسنظل اميركيين ، دون ان يربطنا بهم سياسياً او مدنياً اي رباط آخر ».

اما هنري مورغنتاو الكبير فقد كتب في مذكراته الخاصة يقول :

« ان الصهيونية اكبر خدعة في تاريخ اليهودية ، لانها تقوم على

مجموعة من الاخطاء والاسس الفاسدة. فهي مستحيلة التحقيق ولا ترتكز على اسس اقتصادية او سياسية، فضلاً عن انعدام المثل الدينية منها.»

والجدير بالذكر ان معظم هؤلاء الاثرياء من اليهود وقفوا من الحركة الصهيونية في بدء عهدها موقفاً معارضاً دون تحفظ. وكم سيكون اسفهم وحزنهم كبيرين لو عادوا الآن الى هذا العالم، وشاهدوا الذين ورثوا ثرواتهم الطائلة واسماءهم الكبيرة، مخدوعين، تسخرهم الصهيونية لمصالحها واهدافها!.

ان الفضل الاكبر في استمالة معظم اثرياء اليهود في اميركا وبريطانيا، انما يعود الى وايزمن نفسه، الذي استخدم مع هؤلاء مختلف الوسائل، فتارة ينال المساعدات المالية منهم باسم الجامعة العبرية وطوراً تحت ستار احياء الثقافة والتعاليم اليهودية الصحيحة، واخيراً باسم المبادىء الانسانية لاغاثة المشردين من يهود اوروبا.

ويعترف وايزمن بالعبء الثقيل الملقى على عاتقه والصعوبات الجمة التي اعترضت سبيله، فهو، لكي يقنع اثرياء اليهود بامكانية انشاء دولة يهودية بفلسطين، كان يوهم كل واحد منهم ان التبرعات المالية تنهال عليه بالملايين من اليهود في اميركا وخارجها. وان هذه الاموال الطائلة كفيلة باجتراح العجائب.

ولقد اتجهت انظار زعماء الصهيونية الى الوكالة اليهودية بوصفها الهيئة المعترف بها رسمياً للتحدث باسم يهود فلسطين؛ وعن طريقها تسلل قادة الصهيونية الى الاوساط اليهودية وفرضوا نفوذهم وسيطرتهم

على عدد من المنظمات والهيئات اليهودية في اميركا واوروبا.

وهكذا كتب النجاح لفكرة وايزمن وتمكنت الصهيونية من مدّ جذورها المتفرعة في طول اميركا وعرضها بفضل تفكك عرى اليهودية الاميركية واختلاف وجهات نظرها.

الإسرائيلية
هل هي ديانة جديدة..؟

*

لا نعدو الحقيقة اذا قلنا ان معظم يهود العالم يلمون إلماماً بسيطاً بالتعاليم الصحيحة لديانتهم اليهودية.

وفي اليهودية، ارث تناقلته الاجيال، خلفاً عن السلف، وحفظه كل يهودي عن ظهر قلب دون ان يعرف معناه او مغزاه.

وهذا الارث، رسّخ في ذهن اليهودي منذ الصغر الفكرة القائلة: «بانك تختلف عن سائر البشر.. فانت يهودي.. ومن واجبك ان تساعد اخوانك اليهود..»

وهذه الفكرة، عبارة عن شعور ايجابي، يتعلمه اليهودي، منذ الطفولة، بالغريزة، وينمو مع نموه.. ويصبح معها مستعداً لتقبل فكرة الوطنية، عن طريق الدين.. بعد ان انطبعت جذورها في اعماق قلبه..

وهكذا يحتفظ العقل الباطن، حتى بعد ان يبلغ الشاب سن الرشد، بجميع المتناقضات التي كانت قد انغرست في نفسه وهو

صبي، دون ان يميّز بين الصالح منها والطالح.

ولقد لمس زعماء الصهيونية تأثير هذه التربية على عقلية النشء اليهودي، فحرصوا كل الحرص على تلقين هذا النشء، وهو في بيئته وبين اهله هذه التعاليم ليقبلها، فيما بعد، كحقيقة غير قابلة للجدل او التعديل.

واستناداً الى هذه الحقيقة، وضعت الصهيونية برنامجها التربوي، الذي اوضحه بعبارات مختصرة لويس فولك نائب رئيس المنظمة الصهيونية في اميركا، اذ قال:

«علينا ان ننشر تعاليمنا ونشاطنا التربوي بين النشء اليهودي الجديد.. ونقوّي حركة الشبيبة وننشر بينها التربية العبرية، وندعم المؤسسات الثقافية التي تستمد تعاليمها من اهدافنا، وكذلك علينا ان نرعى مخيمات الصيف الصهيونية، ونعمل على زيادتها، ونشرف عليها اشرافاً تاماً، لننشىء جيلاً يهودياً متشبعاً بروحنا وتعاليمنا الصرفة».

ولقد اعتمدت الصهيونية في بث تعاليمها ودعاياتها بين الشبان والشابات اليهود على مخيمات الصيف، بعد ان لمست ما اعطته هذه المخيمات من نتائج باهرة. فكان رؤساء هذه المخيمات المنتشرة في الولايات المتحدة، يطبقون برنامجاً معيناً وضعه كبار علماء الصهيونية، وتولت تنفيذه لجنة الشبيبة الصهيونية.. كما قام الشبان والشابات المشتركون في هذه المخيمات بتوزيع نشرات دورية تحث الشبيبة اليهودية على التفاني في خدمة دولة اسرائيل والاخلاص لها ومساعدتها، كما توجههم الى ان ينظروا الى اسرائيل وكأنها

الامل المنشود لكل يهودي ، فضلاً عن ان هذه النشرات تبين الاعمال العمرانية ومظاهر الرقي التي تتميز بها الدولة الناشئة ، لاسيما الجهود المبذولة لتحسين المستعمرات اليهودية العديدة وجعلها في مستوى ارقى القرى النموذجية في العالم . وعن هذا الطريق يتعرف اليهودي الى اسرائيل وصناعتها وزراعتها ووضعها السياسي والعسكري .

اما الفتيان والفتيات الذين تتراوح اعمارهم بين الخامسة والثامنة فكانت الصهيونية تلجأ الى طريقة مبتكرة في طبعهم بثقافتها ، فكانت ادارة المخيمات تطلب اليهم رسم بعض المناظر الطبيعية في اسرائيل بواسطة الاقلام الملونة . وجميع العاب التسلية التي كانت تقدم الى هؤلاء الفتية الصغار تدور حول اسرائيل ورجالاتها البارزين فاوراق اللعب مثلاً تحمل رسوماً لابرز قادة الصهيونية وبعض المناظر التاريخية في اسرائيل .

اما الشبان والشابات ، الذين تزيد اعمارهم على الرابعة عشرة ، فقد نظمت لهم محاورات خاصة واناشيد يهودية تتضمن امجاد اليهود وجهود زعماء الصهيونية في سبيل انشاء اسرائيل وازدهارها . كما كانت تقيم احتفالات وطنية لاحياء ذكرى ابطال الصهيونية امثال هرتسل ووايزمن وغيرهما .. وكانت ادارة المخيمات تقدم لهم الكتب والمجلات عن اسرائيل مجاناً .. وبالاضافة الى ذلك كانت تقيم حلقات الرقص والموسيقى تعرض خلالها افلاماً سينمائية ومن بينها افلام قصيرة عن اسرائيل تحمل عناوين طنانة مثل : « الوطن المقبل .. ارض الميعاد .. واسرائيل تعمل .. واذا

نسيتك يا اسرائيل . ! »

وجميع هذه المغريات كانت تستهدف تقوية النزعة الوطنية في نفوس النشء الجديد .

اما اللجنة الاميركية الصهيونية التي تشرف على تنفيذ هذه البرامج في المخيمات فكانت تضم مؤسستين هما : المنظمة الصهيونية لاميركا ومنظمة هداسا .

ولقد ساهم ألوف من النساء والرجال اليهود في مختلف انحاء البلاد ، في تقديم المساعدات المالية الضخمة الى المؤسسة الاخيرة ، ظناً منهم ان عملها انساني بحت لا يمت الى السياسة بصلة ، وانهم اذ يفعلون ذلك ، انما يمدون يد المساعدة لفريق من اخوانهم اليهود المعذبين في خارج الولايات المتحدة ، وقليل منهم من كان يدرك ان هذه التبرعات انما تنفق على تلقين ابنائهم تعاليم الوطنية اليهودية .

وبعد ان سيطر قادة الصهيونية على المنظمة اليهودية المتحدة ، انهالت ملايين الدولارات عليها وراحت المؤسسة تستخدمها على وسائل الدعاية للوطنية اليهودية ، وبفعل هذه الملايين استطاع الصهيونيون ، بدعاياتهم الماكرة ، استدرار عطف الاميركيين عن طريق المبادىء الانسانية ، اذ كانت جميع نشرات الدعاية ترمي الى جعل القارىء يشعر وكأنه جزء من اسرائيل يشاطرها آلامها وآمالها ..

ومثال على ذلك ، فان هذه النشرات كانت تتضمن العبارات التالية « ساهموا في تدعيم اقتصاديات اسرائيل وانعاش الحياة الديمقراطية فيها .. »

وفي اميركا ، ونيويورك وواشنطن خاصة ، عدة مؤسسات ومنظمات صهيونية تجمع التبرعات لتمول المدارس ، التي تتولى تثقيف النشء اليهودي ثقافة يهودية صرفة ، وتعتبر المنظمة اليهودية المتحدة اكثر هـــذه المؤسسات نفوذاً واغناها ، فهي التي تقوم بتمويل المنظمة الصهيونية العالمية ، بما فيها الوكالة اليهودية التي يعود اليها الفضل الاكبر في قيام دولة اسرائيل .

والجدير بالذكر ان قسماً كبيراً من هذه التبرعات والقروض التي تجمعها تلك المؤسسات الصهيونية تذهب رأساً الى خزينة الدولة الاسرائيلية لانعاشها اقتصادياً . ولا يسهو عن البال ان جزءاً كبيراً من التبرعات يساهم بدفعها فريق من المسيحيين الاميركيين دون ان يعلموا ان بعض هذه المبالغ ينفق لتقوية بعض المنظمات اليهودية التي تشجع العنصرية ..

ولم تكتف الصهيونية بكل ذلك .. فقد استخدمت الشعائر الدينية لرفع معنويات الدولة الجديدة ، باعتبارها ممثلة اليهودية العالمية ، فقد اعلنت المنظمة الصهيونية لاميركا ، ان السنة اليهودية الجديدة تبدأ عام ١٩٥٢ ، واطلقت عليها اسم « سنة اورشليم » وذلك لمناسبة انتقال عاصمة اسرائل من تل ابيب الى القدس في ذلك العام ، كما حاولت بعض المنظمات الصهيونية اقناع رؤساء البلديات في الولايات المتحدة بان يطلقوا اسم اورشليم على بعض الشوارع ..

من المعروف ان اية دولة من دول العالم ، عندما تواجـــه ازمة اقتصادية حادة ، تحاول الحصول على قروض مالية من دولة

اخرى او من البنك الدولي ؛ وفي بعض الحالات تعرض سندات القروض للبيع ليشتريها من يشاء في الخارج . وهذه السندات هي بمثابة ضمانات للمبالغ التي يتم دفعها ، والعادة ، ان المصارف المالية والاخصائيين في التجارة والاقتصاد ، هم الذين يساهمون في تغطية مثل هذه السندات ..

ولكن سندات القروض التي طرحتها اسرائيل في الاسواق الاميركية ، لم يتقدم لشرائها رجـــال المصارف ، او اصحاب المؤسسات التجارية والاقتصادية ، بل اقتصر بيعها على فئات معينة من اثرياء الاميركيين اليهود ، بدافع المسؤولية لانقاذ الشعب اليهودي .

وقد افتتح هنري مورغنثاو حملة بيع السندات برسالة وجهها الى الرأي العام الاميركي عام ١٩٥١ قال فيها : « لقـــد برهن المساهمون بشراء هذه السندات عن وطنية حقة كاميركيين . اما كيهود فقد اعتبرت تجربة عرض هذه السندات ناجحة ومفيـــدة لاسرائيل . »

وقد يتساءل المرء الآن بادب كـــلي ، متى كانت خدمـــة دولة اجنبية والتفاني في مساعدتها يعتبر عمـــلاً وطنياً وواجباً اميركياً ؟

وحصرت الدعاية الصهيونية جلّ اهتمامها ونشاطها في مناشدة يهود اميركا والعالم لمساعدة اسرائيل مالياً ، فنظمت عدة حملات اكتتاب في سندات القروض الاسرائيلية ، وكانت هذه الدعاية وما يرافقها من حملات الاكتاب ، تبرز على اشدها في الاعياد

والمناسبات الدينية اليهودية ، لتستغل عطف اليهود الديـــني ، وتذكرّهم باسرائيل وضرورة مساعدتها مادياً لتتمكن من النهوض والانتعاش . وكذلـــك تضافرت جهود المنظمات والمؤسسات الصهيونية والاندية الرياضية اليهودية ،لبيع هذه السندات والترويج لها . وكان من العسير على معظم يهود امـــيركا ، ان يقاوموا وسائل الدعاية واساليب الضغط والاكراه ، خشية ان يتهمـوا « بالخيانة » !.

وفي احتفال خاص ، اقيم ليلة ٣٠ نيسان ١٩٥٢ ، لمناسبة مرور اربع سنوات على قيام اسرائيل ، احتشد حوالي ٣٢ الف شخص في مدرج بروكلن ، وراحوا يستمعون الى الخطب التي كان يلقيها هنري مورغنتاو واليانور روزفلت ومايرسون والحاخام غولد شتاين ودوف جوزف ، وكانت جميـــع خطبهم تدعو لمؤازرة اسرائيل لتتمكن من الصمود . وفي مثل هذه الاحتفالات كانت تسنح فرص ذهبية للحصول على مكتتبين جدد لسندات اسرائيل واقيمت احتفالات مماثلة في عـــدد من المـدن الاميركية وللغاية نفسها .

ومع ذلك لم يكتف زعماء الصهيونية وانصارهم الاميركيون ببيع سندات القروض ،وتقديم المساعدات المالية والمعنوية لاسرائيل بل كانوا يتدخلون في سياسات اميركا الداخلية كمجموعة يهودية لها وزنها من الوجهة الانتخابية ، وذلك لخلق جو ملائم في اوساط الرأي العام الاميركي ، من اجل مضاعفة المساعدات الاميركية لاسرائيل .

وابرق رئيس منظمة الصهيونية في اميركا عام ١٩٥٢ الى بن غوريون يقول :

« ان اليهودية الاميركية قد تنبهت للخطر ، واعدت لكل شيء عدته ، وان المنظمات الصهيونية في اميركا بامكانها الان ، ان تحرك الرأي العام الاميركي ، ليبادر لمعونة اسرائيل ، وليضغط على البيت الابيض او غيره من الدوائر الرسمية الاميركيـــة ، مستخدماً نفس الوسائل الناجحة التي استعملها في عامـي ١٩٤٧ و ١٩٤٨ ، والتي لولاها لما قامت اسرائيل . » .

ولم تقتصر الجهود على المنظمات الصهيونية الموجودة في اميركا وحدها بل ان عدداً من وزراء اسرائيل حضروا خصيصاً الى اميركا لجمع التبرعات وحض اليهود وغير اليهود على المساهمة في شراء السندات الاسرائيلية .

وفي نيويورك يمكن للمرء ان يلاحظ بسهولة نفوذ الصهيونية وانتشار دعاياتها ، حتى في الشوارع الصغيرة . وتحمـــل هذه الدعايات طابعاً وطنياً يهودياً صرفاً ... مثـالا على ذلك ، ان المرء يلاحظ في نهاية الشارع الخامس قرب نادي كولمبوس ، لافتة كبيرة كتب عليهـــا العبارة التالية : « ساعدوا المنظمة اليهودية المتحدة .. » كما يرى في الجهة المقابلة لوحة اخرى كتب عليها : « اشتروا سندات القروض الاسرائيلية .. » وهـــذه اللوحات منتشرة بكثرة في كل مكان .

وساهمت الصحافة الاميركية مساهمة فعالة في نشر اخبار حملات التبرعات لاسرائيل ونجاح حملة بيع السندات ... وعن

مشاريع السنوات الخمس التي اعتمدهـا المجلس الصهيوني لانعاش اسرائيل اقتصادياً . والى جانب هذه الاخبـار ، كانت تنشر بيانات رسمية صادرة عن وزارة خارجية اسرائيل عن رغبة اليهود الاكيدة في مفاوضة الدول العربية ... ثم اعلان كبير في صفحة بارزة يحث القراء على شراء سندات اسرائيل .

وحدث في حفلة افتتـاح « متروبوليتان اوبرا » ان وقف رئيس القسم الاميركي التابع للوكالة اليهودية يقول بصراحـة : « ان حملات الدعاية المضللة ، هي وسيلة خطـرة في الدعاية ، لا تعطي نتيجة مجدية .

ولهذا فاني اصارحكم بالحقيقة المجردة ، وهي ان اسرائيل مازالت بحاجة الى مزيد من المساعدات المالية لمدة سنين وسنين !.. »

وكتب وليم زوكرمان رئيس تحرير « جويش نيوزلـتر » يصف وضع يهود اميركا « وحملاتهم اليهودية » فقال : « لقد تجردت هذه الحملات من الاهداف الدينيـة السامية ، واقتصرت فقـط على جمع الاموال . فهل يمكن لمثل هذه الجماعة ان تكون مصدراً للنبل والعظمة ؟ » .

والخلاصة .. ان المغزى الرئيسي لهذه التصرفات ، يوضح ان يهود اميركا نزعوا من افئدتهم ، في السنين العشر الاخيرة الايمان الصحيح بيهوه ، اله اليهودية ، واستبدلوه ببدعة عبارة « الوطنية المادية » ، تلك البدعة التي استنبطتها عقول ساسة الصهيونية .

ومع ان الوصية الاولى من وصايا الله العشر تفرض على كل يهودي : « ان لايتخذ من دون الله بديلاً ... » فان اليهود يعبدون اليوم اسرائيل بدلاً من الله .

محاولات لجمع اليهود ...

*

ازاح بن غوريون ، في تصريح رسمي له ، الستار عن أهداف الوطنية اليهودية (الصهيونية) عندما قال :

« ان من واجب يهود العالم ان يعودوا الى وطنهم الاول . »

وهذا التصريح لم يصدر عفواً عن رجل عادي ، بل هو صادر عن رئيس حكومة مسؤول لدولة اسرائيل ، يعتبر القائد الاول للحركة الصهيونية في العالم . وهو عندما يتحدث ، فانما ينطق بما له من صلاحية مطلقة ، للتعبير عن عقيدة الصهيونية الصريحة دون مواربة او تنميق .

وقد أدلى بن غوريون بهذا التصريح في ٣١ تموز ١٩٤٩ ، عندما كان يخطب في حفل حضره فريق من اليهود الاميركيين كان يزور اسرائيل . وهذا بعض ما جاء في خطابه « ... ومع اننا حققنا حلمنا الاول في اقامة دولة يهودية ، فنحن ما زلنا في اول الطريق ... ففي اسرائيل الآن حوالي مليون يهودي فقط ، بينما تقيم أغلبية الشعب اليهودي خارج دولتنا . وهدفنا الآن ينحصر في

حثّ جميع يهود العالم على العودة الى اسرائيل .. ولهذا ، فنحن نتوجه الى الآباء اليهود ، كي يساعدونا في ارسال ابنائهم وبناتهم الى هذه الارض المقدسة. وحتى فيما لو امتنع هؤلاء عن مساعدتنا ، فسنعمل على استقدام الشبيبة اليهودية لتعيش في اسرائيل ، وتساهم في انهاض هذه الدولة الناشئة .. »

وما هو عدد الشبان اليهود الذي يريد بن غوريون استقدامه لاستيطان اسرائيل ..؟

لقد اوضح الرئيس الصهيوني هذه النقطة ، عند زيارته للولايات المتحدة في ايار عام ١٩٥١ ، اذ قال : « ان اسرائيل تستطيع ان تستوعب اربعة ملايين من اليهود خلال السنوات العشر القادمة » ولكنه تعمد ان لا يشير الى المكان الذي ستتدفق منه هذه الموجة الكبيرة من المهاجرين اليهود . والمعلوم ان موجات المهاجرين ، كانت تتدفق على اسرائيل دوماً من العراق واليمن وبلغاريا ، مما حمل المسؤولين في ذاك الحين ، الى اعلان عدم رغبتهم في قبول مزيد من هؤلاء المهاجرين الفقراء والعاجزين ، بينما أبدوا رغبتهم وترحيبهم باستقبال مهاجرين اقوياء واغنياء من الشبان اليهود الاميركيين .

وفي كانون الاول عام ١٩٥١ ، أثار بن غوريون مشكلة المهاجرين في البرلمان الاسرائيلي ، فاتهم صراحة قادة الصهيونيين الاميركيين « بانهم افلسوا في معالجة مشاكل الدولة الجديدة . لان معظمهم امتنع عن الهجرة الى اسرائيل . »

الى ان قال بحدة : «.. وحتى الآن لم يتقدم خمسة من هؤلاء

الزعماء ، دفعة واحدة ، ليعلنوا عن رغبتهم الصادقة في الانتقال الى اسرائيل بعد قيامها .. ومع انني لا اجزم بان جماعات كبيرة من عامة اليهود ستقتدي بهم ، ولكنهم ، بعملهم هذا ، يمكنهم ان يبرهنوا ان الصهيونية ترتكز على فكرة صحيحة في نظر قادتها على الاقل . »

واستمر المسؤولون في اسرائيل ، يوجهون الشكوى والانتقاد الى يهود اميركا ، وخاصة الى زعماء الصهيونية هناك ، فقام مثلاً الدكتور اسرائيل غولد شتاين ينتقد اليهود الاميركيين ، ويقول « ماذا ينتظر يهود اميركا ..؟ هل ينتظرون مجيء هتلر جديد ليحملهم بالقوة على الخروج من اميركا .. ؟ وهل يعتقدون ان بامكانهم تجنب المآسي التي دفعت بيهود اوروبا للهجرة . ؟ »

وفي بيان آخر ألقاه بن غوريون ، وفي البرلمان الاسرائيلي ، جرّد مشكلة الهجرة اليهودية الى اسرائيل من ثوبها الانساني ، وعالجها من ناحية وطنية بحتة ، هدفها تقوية الدولة الجديدة وانعاشها ، فذكر ان اسرائيل تحتاج الى ممرضات واساتذة ورجال فنيين لمختلف المرافق .. الى ان قال : « انا متأكد من انهم سيأتون الى هنا ، لان هناك عوامل اقتصادية تغريهم بالمجيء ، فالمهندس اليهودي في اميركا مثلاً ، لن يجد بسهولة عملاً في مؤسسة غير يهودية ولا يوجد في اميركا مؤسسات يهودية كافية لتستوعب جميع المهندسين والفنيين اليهود . »

وهكذا ، كان المسؤولون في اسرائيل يعمدون بين الفترة والفترة ، الى إثارة قضية الهجرة اليهودية ، كلما شعروا بفتور حركتها

وكان مشردو اوروبا من اليهود ، موضع اهتمامهم بصورة خاصة فقد بذلوا معهم مختلف وسائل الاغراء والضغط ليحملوهم على اعتبار اسرائيل الموطن الامين لهم .

وكان عدد اليهود المشردين الذين يعيشون في مخيمات بالمنطقة الاميركية من المانيا ، في عام ١٩٤٨ ، حوالي ١٠٠ الف مشرد تقدم ٥٥ الفاً منهم بطلبات للهجرة الى اميركا ، بينما فضّل الباقون الهجرة الى بلاد اخرى غير فلسطين . ومن هنا نرى ان الدعايات الصهيونية الواسعة لم تثمر بين هؤلاء المشردين .

وقد عالج الحاخام كلاوسنر قضية مشردي اوروبا اليهود ، في تقرير رفعه الى مؤتمر الصهيونية العالمي، مقترحاً الوسائل الناجحة لاستمالة هؤلاء المشردين ،والعمل على ترحيلهم بالاكراه، والتهديد بقطع المعونة عنهم .

وفي رسالة بعث بها وليم هابر ، المستشار السياسي لشؤون اليهود المشردين ، الى المؤتمر الصهيوني ، هاجم مقترحات الحاخام كلاوسنر وقال :«ان هذه السياسة هي التي نفرت المشردين اليهود من قادة الصهيونية ، وجعلتهم يرفضون الهجرة لاسرائيل . »

وهناك تقارير عديدة عن اعمال الارهاب والاضطهاد التي ارتكبت بحق فريق من المشردين اليهود ، الذين عارضوا خطط الصهيونية واساليبها . وقد تسرب اكثر هذه التقارير الى أيدي المسؤولين في اميركا .

وافظع ماتضمنته هذه التقارير وصف اعمال احدى المنظمات اليهودية ، التي كانت موكلة بادارة عدد من مخيمات المشردين ، عام

١٩٤٨ . فقد شنت هذه المنظمة حملة ارهاب عنيفة شملت جميع اليهود الموجودين في تلك المخيمات ، وارغمت الشبان القادرين على حمل السلاح ، على الالتحاق بفرق «الهاغانا» بفلسطين ، اما الذين تلكأوا في الذهاب ، فقد حُرموا من مخصصات الطعام ، وسُخروا بالقيام باعمال شاقة ، اما الذين تمردوا على هذه التدابير ، فكان نصيبهم الطرد من المخيمات ، ومصادرة اوراقهم الخاصة ، وكانت سيارات الوكالة اليهودية تجوب مخيمات اليهود في المانيا الغربية كل اسبوع ، لتجمع الشبان القادرين على حمل السلاح ، وتنقلهم الى ميناء مرسيليا حيث يرسلون الى اسرائيل !.

وعلى هذه الصورة الارهابية ، بدأت عمليات جمع « المبعدين » من اليهود !!

وفي تموز عام ١٩٤٨ ، وقف بن غوريون يقول : « ان اجيالنا السالفة لم تتحمل الاضطهاد والآلام لكي ترى ثمرة جهادها منحصرة في جمع ٨٠٠ الف يهودي فقط ضمن اسرائيل ... ان واجبنا يحتم علينا ان ننقذ جميع اليهود الموجودين في البلدان العربية والاوربية .

وبعد انتخابات ١٩٤٩ ، أدخل بن غوريون تعديلاً على هذه العبارة اذ قال : « علينا ان ننقذ ماتبقى من شعب اسرائيل مشتتاً في العالم ، وننقذ ممتلكاتهم ايضاً ، لانه بدون هذين الامرين لن نتمكن من اعادة بناء هذه الدولة » .

وإبان الحوادث الدامية بين العرب واليهود في فلسطين تدفقت موجات كبيرة من المهاجرين اليهود على المخيمات الاوروبية ، قادمة

من بلدان اوروبا الشرقية والاقطار العربية وشمالي افريقيا. وكان قسم من هؤلاء اليهود لايرغب في الهجرة الى فلسطين ، ولكن اساليب الدعاية والضغط والاغراء التي استعملت معه ، جعلته ينساق وراء الخديعة .

ومثال على ذلك ، ان يهود العراق ، البالغ عددهم حوالي ١١٠ آلاف ، وجدوا انفسهم إبان حوادث القتال ، في وضع حرج من جراء تصرفات فئة قليلة من الصهيونيين ، التي كانت تعيش في العراق. فقد فرضت السلطات العراقية على جميع اليهود رقابة شديدة ومعاملة قاسية جداً لم يألفوها من قبل ، هذا مع العلم ، ان يهود العراق عاشوا بسلام في تلك البلاد آلاف السنين ، منذ ان دمّر نبوخذنصر المملكة اليهودية. حتى انهم تمكنوا في العهد الاسلامي من اكتساب ثقة الخلفاء والقادة العرب ، ونالوا حقوقهم المدنية والدينية ، ومارسوها بحرية مطلقة . وفي بدء العهد الاستقلالي بالعراق ، تولى شؤون وزارة المالية ، وزير يهودي ، كما بلغ عدد المعابد اليهودية اكثر من ستين كنيساً في مختلف انحاء البلاد .

وعندما زارت لجنة التحقيق الاميركية البريطانية ، الشرق الاوسط عام ١٩٤٦ ، قابل فريق من يهود العراق ، اعضاء هذه اللجنة ، واستنكر اعمال زعماء الصهيونية ، التي من شأنها ان تعرّض مصالح اليهود للخطر ، وتثير عليهم حفيظة مواطنيهم العرب المسلمين في العراق .

والواقع ان الصهيونية تمكنت من ايجاد بعض العملاء لها في العراق ، فراحت تستخدمهم في نشر اهدافها التي ترمي الى إنزال

الضرر بالوطن الذي يسكنون . ولقد وقف اليهود العراقيون صامدين في وجه هذا التيار ، فهاجم المجلس المليّ اليهودي في بغداد ، الصهيونية في عدة مناسبات وتبرأ من أعمالها ، كما أصدر الحاخام خضوري ساسون بياناً قال فيه : « ان يهود العراق كانوا وسيظلون الى الابد اعداء للصهيونية ، لان اليهود العرب في هذه البلاد يتمتعون بنفس الامتيازات والحقوق التي يتمتع بها بقية المواطنين منذ ألف سنة . وهم لايعتبرون أنفسهم كجزء منفصل عن هذه الامة .. » .

وعلى الرغم من هذه التحذيرات والمقاومة ، فقد نجح عملاء الصهيونية في إشاعة الفوضى والقلاقل في العراق ، وكان من نتائجها ان الحاخام ساسون نفسه أهين وضرب من قبل فريق من اليهود المتطرفين .

وما ان نشبت المعارك الدامية بين العرب واليهود ، في ربيع عام ١٩٤٧ ، حتى تحرج موقف يهود العراق ، وشملت نقمة العراقيين العرب جميع اليهود ، بما فيهم اليهود المعتدلين الابرياء . وانه من الصعب جداً ، توضيح الحقائق لمعرفة الدوافع الرئيسية التي أدت الى توتر العلاقات بين العراقيين العرب ومواطنيهم اليهود . ولكن الثابت ، هو ان اعمال اليهود المتطرفين التخريبية ، كانت سبباً مباشراً لاتخاذ تدابير زجرية بحق كافة يهود العراق وبالتالي استصدار قانون من مجلس النواب العراقي ، يبيح لجميع يهود العراق مغادرة الاراضي العراقية .

وفي حديث لي مع وزير خارجية العراق توفيق السويدي ، في

حزيران عام ١٩٥٣، قال لي مبرراً استصدار ذلك القانون، مانصه :

« لقد بدأنا نشعر ان فريقاً من يهود العراق اصبح غريباً عنا ، توجهه سياسة معادية لنا ، ومع ذلك مضينا ندفع عنهم كل اذى، وتركنا لليهود في الوقت نفسه الخيار بين مغادرة العراق، او البقاء فيه ، شرط ان يكونوا مواطنين مخلصين ، كما كانوا في الماضي ، فغادر منهم خلال السنة الاولى من استصدار القانون حوالي ٨٠ الفاً »

واضاف الوزير قائلاً : « ولقد صرح لي ، فيما بعدُ ، عدد من اليهود الباقين في العراق ، والبالغ عددهم خمسة آلاف نفس ، بان معظم العائلات اليهودية التي غادرت العراق ، انما فعلت ذلك تحت ضغط ابنائها من الشبان المتهوسين ، المخدوعين بمبادىء الصهيونية المزوقة ودعاياتها الرنانة .. »

ثم انه عندما انتهت عمليات هجرة اليهود من العراق ، عثرت السلطات العراقية على كميات من القنابل المتفجرة والمدافع الرشاشة والذخائر ، مخبأة في احد المعابد اليهودية ببغداد !!

وقد فتحت هذه الهجرة الواسعة امام الاميركيين الاغنياء مجالاً للتسابق في التبرع لانقاذ هؤلاء اليهود « المضطهدين » ! ..

ولكن المائة الف يهودي الذين هاجروا من العراق، انما يعتبرون انفسهم قد ارغموا على ترك البلاد، التي عاش فيها اسلافهم واجدادهم من قبلهم ، بفعل الضغط الصهيوني؛ وقد اشارت دروتي تومبسون الى ذلك فقالت : « ان هؤلاء اليهود الذين ادعت الصهيونية ، انها انقذتهم من اضطهاد العرب في العراق ، يجلسون الآن على ضفاف نهر الاردن يذرفون الدموع السخينة ، على ايامهم الزاهرة

في العراق .. تماما كما كان يفعل اسلافهم في الماضي عندما طُردوا من ارض اسرائيل وأخذوا سبايا الى بابل . »

وحالة يهود اليمن ، الذين جاءوا من صميم الجزيرة العربية ، لا تختلف ابداً عن حالة يهود العراق .

فقد كانوا لسنوات خلت، يقاسمون مواطنيهم المسلمين هناك، السراء والضراء ، ويمارسون تجارتهم الرابحة بحرية مطلقة . بل انهم كانوا يسيطرون على معظم مرافق البلاد الاقتصادية والتجارية منذ اجيال واجيال ، ويعيشون في بحبوحة من العيش ، يمارسون طقوسهم اليهودية الصحيحة في حرية مطلقة .

ولقد جنتْ عليهم الصهيونية ، عندما نقلتهم الى اسرائيل خلال عامي ١٩٤٨ و ١٩٤٩ ، وقد قُدرتْ نفقات ترحيلهم بحوالي خمسة ملايين ونصف مليون دولار ، وتولتْ شركة طيران الشرق الادنى ، نقلهم على متن خمس طائرات من طراز « سكايماستر » .

والجدير بالذكر ، ان هؤلاء اليهود اليمنيين ، لم يستقلوا طائرة من قبلُ ، ومع ذلك تدافعوا لامتطاء متنها غير عابئين بالخوف، مدفوعين برغبة دينية جارفة لرؤية ارض الميعاد ..!

وفي اسرائيل ، صُدموا بالحقيقة المؤلمة التي كانت تنتظرهم في ارض الميعاد ، إذ عُزلوا في اماكن منفردة ، وحُرم عليهم الاختلاط بسائر الرعايا الاسرائيليين ، بحجة انهم اغبياء وقذرين ، وغير قادرين على ممارسة اي عمل نافع ..!

ويوجد في اسرائيل اليوم ، من اليهود الشرقيين ، حوالي ال ٦٦٥ الفاً ، اي ما يقدر بـ ٤٥ بالمائة من مجموع عدد السكان ،

وجميعهم تدفقوا من العراق واليمن وشمالي افريقيا وسوريا ولبنان .

وقد لمست الوكالة اليهودية هذه الحقيقة ، عام ١٩٥١ ، أذ عمدت الى الحد من هجرة اليهود الشرقيين ، وحثت المنظمات الصهيونية الاميركية ، على بذل الجهود في تشويق النخبة المختارة من يهود اميركا ، ذوي الاجسام الصحيحة والمؤهلات الفنية والعلمية ، للهجرة الى الدولة الناشئة .

وعلى الرغم من ركود عمليات تدفق الهجرة ، في منتصف عام ١٩٥١ ، فقد استمرت المساعي تبذل من اجل تشويق النخبة المختارة من اليهود للهجرة الى اسرائيل .

وفي خطاب ألقاه شاريت في تموز ١٩٥٢ ، امام المؤتمر السنوي لحزب العمال الاميركي ، دعا الى زيادة عدد سكان اسرائيل وقال :
« ان من واجبنا ان نبذل الجهود ، لنجعل اسرائيل تضم اربعة ملايين ، واسرائيل تتوجه بانظارها الى يهود الاميركيتين الشمالية والجنوبية ، الذين تلكأوا في تلبية الواجب ، إننا ندعوهم الى دولتهم الجديدة ليساهموا في تعميرها وانعاشها »

وقد وجه شاريت دعوته هذه الى اولئك اليهود ، لانهم كانوا حتى ذاك الحين ، قانعين بالعيش هناك لا يعكر صفو عيشهم معكر .
ومع ذلك ، فهم لم يتأخروا ابداً عن تقديم التبرعات المالية الى فرع المنظمة الصهيونية ، في سبيل انعاش اقتصاديات الدولة الجديدة . اما الذين رفضوا التبرع منهم ، فكانت تنهال عليهم رسائل التهديد والوعيد من كل حدب وصوب .

وبينما كانت المنظمات الصهيونية في الاميركيتين تبذل الجهود ،

كان مجلس الكنيست (البرلمان اليهودي) قد انتهى من تصديق قانون جديد اطلق عليه اسم « قانون العودة » منح بموجبه كل يهودي ، الحق بدخول اسرائيل والاقامة فيها بصفة نهائية .

اما قانون الجنسية الاسرائيلية ، والذي اصبح ساري المفعول ابتداء من الرابع عشر من تموز عام ١٩٥٢ ، فقد اعتبر جميع اليهود المقيمين باسرائيل ، رعايا للدولة الجديدة ، في حين اشترط على العرب المقيمين في اسرائيل ، والبالغ عددهم ١٧٠ الفاً ، ان يثبتوا انهم كانوا يحملون الجنسية الفلسطينية قبل الرابع عشر من شهر ايار ١٩٤٨ ، حتى يتاح لهم اكتساب الجنسية الجديدة ، كما أوجب على العرب ان يتقنوا اللغة العبرية ، وان لا يحملوا جنسية اخرى .

وكان من الطبيعي ان لا تتوفر هذه الشروط الا في عدد قليل من الـ ١٧٠ الف عربي .

وفي الوقت الذي كان يحرم فيه العرب ، الذين ولدوا في فلسطين ، من الجنسية ، كانت هذه الجنسية تمنح لأي يهودي ، فور وصوله الى اسرائيل وابداء رغبته بالحصول عليها ، دون النظر فيما اذا ظل محتفظاً بالجنسية الاخرى ، ام انه تخلى عنها .
والجدير بالذكر ، ان معظم اليهود الاميركيين ، الذين هاجروا مؤخراً الى اسرائيل ، واكتسبوا جنسيتها ، ندموا على تسرعهم ، وقرروا العودة الى اميركا ، متخلين عن تلك الجنسية التي لم يجنوا من ورائها سوى المتاعب وشظف العيش . كما ان يهود تونس ومراكش ، اظهروا عناداً وصلابة في قبول

الجنسية الاسرائيلية ، وقالوا انهم يرغبون بالعودة الى املاكهم وتجارتهم في شمالي افريقيا .

وقد حاول فريق من متطرفي اليهود ، الدفاع عن هذا القانون موردين حججاً واهية ، ومغالطات لاتستند الى اساس صحيح او منطق سليم .. كادعائهم مثلاً بان التمييز بين اليهودي والعربي من سكان فلسطين ، انما يبرره ان هذه البلاد قد استعادها اليهود بالقوة !!..

ولكن مهما كانت العوامل والظروف ، التي أحاطت بنجاح اليهود في تثبيت اقدامهم بفلسطين ، فلا يجوز ابداً ان يقال ان قيام اسرائيل قد تمّ بقوة السلاح وعن طريق الفتح .

وهناك تعبير شائع بين الاميركيين يغيظ الصهيونيين ويسيء الى حركتهم ، وهو في تحديد : مَن هو الصهيوني ؟ .

فالصهيوني في نظر الاميركيين العقلاء ، هو اليهودي الذي يمنح مالاً الى يهودي آخر ، ليتولى هذا ترحيل يهودي ثالث الى اسرائيل .

وقد حاول قادة الصهيونية ان يمحوا هذا التحديد من الأذهان فراحوا يطالبون بعضهم بعضاً بالهجرة لاسرائيل ، ليكونوا قدوة للآخرين من عامة اليهود . وعلى الرغم من جميع هذه المحاولات ، لم يتجاوز عدد الصهيونيين الاميركيين ، الذين نزحوا الى اسرائيل واقاموا فيها بصفة دائمة ، الثلاثة آلاف ، اما الغالبية الساحقة فقد تمسحت بشتى الاعذار للبقاء في اميركا .

واستمر الخلاف على اشده ، بين الصهيونيين المقيمين باسرائيل

وبين الصهيونيين الاميركيين ، الى ان وضع حد له في المؤتمر الصهيوني العالمي الثالث والعشرين المنعقد عام ١٩٥٢ ، اذ توصل الفريقان الى اتفاق نهائي أنيط قادة الصهيونية خارج اسرائيل بموجبه ، بمهمة تدعيم الدولة الناشئة اقتصادياً وسياسياً وتزويدها بالعناصر النشيطة من الشبان واصحاب الكفاءات ، كما وضع بن غوريون عدة شروط طالب الصهيونيين الاميركيين بتنفيذها ، وهي تتلخص في « تقديم تعهدات اجماعية ، من قبل المنظمات الصهيونية ، بمساعدة الدولة اليهودية في جميع الظروف والحالات الاستثنائية ، حتى ولو تعارضت هذه المساعدات مع مصلحة البلاد التي تنتمي اليها المنظمات المذكورة » .

وقد عارض اليهود الاميركيون العقلاء هذه الشروط ، وحذروا من عواقبها ، لانه بنتيجة هذه التعهدات صار يخشى ان يتهم اليهودي بازدواج الاخلاص لدولتين معاً — اميركا واسرائيل . وهو مالا يرضاه الاميركي المخلص الامين على واجبه ووطنيته الصادقة .

وحيال هذه التعهدات « المشبوهة » التي قطعتها الصهيونية العالمية على نفسها ، تنادت الجمعيات والهيئات اليهودية الاميركية غير الصهيونية ، الى اجتماع عام ، واذاعت بياناً هاجمت فيه مقررات المؤتمر الصهيوني العالمي وشجبتها بشدة .

وعلى الرغم من هذه المعارضة الشديدة ، فقد استمرت الصهيونية العالمية ، ومن ورائها اسرائيل ، تنشط جاهدة لتحقيق اهدافها المشتركة ، وهي « جمع المشتتين » من يهود العالم واقناعهم بالهجرة الى ارض الميعاد .

وخرافة العنصرية اليهودية

*

لقد خاطب هتلر ، زعيم النازية ومبتدعها ، اليهود في المانيا وغيرها من بلدان اوروبا ، عندما شنّ حملته عليهم بقوله المشهور: « انتَ لستَ المانياً .. بل انت يهودي .. وقال لليهودي التشيكي : انت لستَ تشيكياً .. ولكنك يهودي . »

ثم راح يوجه هذه الكلمات الى كل من يهود فرنسا وبولونيا والنمسا .

وعندما شرعت النازية بوضع أسس العنصرية الآرية ، رجعت الى اجيال غابرة عديدة ، تنقب وتبحث عن الدم الجرماني النقي ، وكانت لا تعترف للمواطن الالماني بعنصره الآري ، الا بعد هذا البحث وذاك التنقيب . وهكذا ، كانت النازية واقعية عندما اعتمدت على التنقيب والبحث قبل تحديد عنصرها ونسلها . ولم تكن كالصهيونية ، التي منحت حق الانتساب لليهودية ، الى كل من كان يهودياً ، وشاء ان يبقى يهودياً .

ومع ذلك فليس من عالم واحد من علماء « الجنس البشري »

يقرّ حقيقة العنصرية اليهودية او الآرية .

ففي عام ١٩٣٧ ، وخلال المؤتمر السنوي لجمعية علماء « الجنس البشري » الاميركية ، وُصفت العنصرية الآرية بانها عنصرية لا وجود لها ، وتقرر ان الآرية كالسامية لاتعنيان الا لفظتين دون ان يكون لهما مدلول عنصري محدد .

والعنصرية لها مميزات واضحة ، تنتقل الى ابنائها بالارث ، وتظهر جلية في لون الشعر والبشرة والعينين ، وشكل الرأس ، والانف ، والقامة .

ولذلك كان من الطبيعي ان يلجأ وايزمن ، وغيره من مؤسسي العنصرية اليهودية ، الى ابتداع الوسائل للتغرير بعقول السذج من اليهود ، حول العنصرية ، مع اقتناع هؤلاء المؤسسين التام ، بان ليس هناك من عنصرية يهودية او سامية بالمعنى الصحيح .

والجدير بالذكر ، ان اللغات السامية الرئيسية هي العبرية والسريانية والحبشية والعربية ، كما ان الاشوريين والبابليين المنقرضين كانوا يتكلمون لغة تمتّ الى السامية بصلة وثيقة ، وجميع هذه الشعوب التي تتكلم السامية ، انما تعود باصلها الى العنصر القوقازي .

وكلمة سامية بحد ذاتها ، مشتقة من سام احد ابناء نوح ، الذي انحدر منه العرب واليهود . ومن هذه الحقيقة التاريخية البتراء ، اقتبس زعماء الصهيونية بدعة العنصرية السامية ، ووصفوا بها جميع اتباع الديانة اليهودية ؛ مع ان معظم هؤلاء الاتباع اليهود لايفهمون اللغة العبرية ، القديمة منها او الحديثة .

وباختلاط الشعوب بعضها ببعض عن طريق التزاوج ، فقدت اليهودية على مرّ الزمن طابعها الخاص وعنصريتها التي كانت تفاخر بها ، حتى ان العنصر الانكلوساكسوني نفسه فقد هذه الخصائص .

وقليلون من الانكليز ، من يمكنهم الآن الادعاء ، بان الدم الانكلو ساكسوني النقي ، ما زال يجري في عروقهم .

وهذه القاعدة تنطبق على اليهود اكثر مما تنطبق على غيرهم ، فقد كانوا اكثر شعوب العالم اختلاطاً بغيرهم ، بحكم انتشارهم في جميع بقاع الارض منذ القدم . ولذا كان من الطبيعي ان يفقد اليهود طابعهم الذي ورثوه عن أسلافهم الاقدمين من بني اسرائيل .

والثابت تاريخياً ، ان الاسباط الاثني عشر من الاسرائيليين ، الذين عاشوا في ارض كنعان لخمسة وثلاثين قرناً خلت ، قد اندثرت آثارهم . كما ان القسم الاكبر من السبايا اليهود في بابل استوطن منفاه ، ولم يعد الى وطنه الاول .

والآن ، كيف يمكن لأي يهودي الادعاء بانه ينحدر مباشرة من اولئك اليهود الاقدمين ، الذين سكنوا يوماً من الايام الارض المقدسة ؟

ان خرافة العنصرية اليهودية ترتكز على القاعدة القائلة : « ان كلمات العبراني ، والاسرائيلي ، واليهودي ، واليهودية ، والشعب اليهودي ، انما استعملت لمدلول واحد » .

ولكن الواقع هو غير ذلك ، فهذه الكلمات انما تعني طوائف مختلفة عاشت في عصور مختلفة . فكلمة عبراني أطلقت على الشعب الذي استوطن ارض كنعان ، كما ورد ذلك في التوارة . وكلمة

اسرائيلي مشتقة من الاسباط الاثني عشر لبني اسرائيل . واما كلمة يهودي فهي التعبير الذي استعمل في التوراة وعني به الافراد الذين هم من سبط يهوذا او من رعايا مملكة يهوذا . وكانت تستعمل هذه اللفظة في عهد النبي « ارميا » اما لفظة اليهودية Judaism فلم يستعملها العبرانيون او الاسرائيليون مطلقاً ، بل ظهرت لاول مرة اثر ظهور الديانة المسيحية .

وعندما اصبحت كلمة اليهودية شائعة في الاوساط ، لم يكن هناك من دولة عبرانية او اسرائيلية في عالم الوجود ، اذ ان الشعب اليهودي كان منتشراً في انحاء العالم المعروف آنذاك ، وقد اختلط افراده بسائر الشعوب .

وقد كانت الموجة الكبيرة التي اعتنقت الديانة اليهودية في القرن الثالث عشر ، اكبر هذه الموجات . وقصة « مملكة الخازار » (١) التي اعتنقت الديانة اليهودية مع حاكمها وقادتها ، ما زالت عالقة باذهان جميع اليهود المؤمنين .

فقد قامت هذه المملكة في القسم الجنوبي من روسيا بين نهري الفولغا والدون ، وامتدت حتى شواطىء بحري الأسود وقزوين ، وعرفت بالمملكة الخازارية Kingdom of Khazaria وكان يحكمها ولاة حملوا لقب خاقان Khagan .

وفي عام ٤٤٨ ، غزا القائد المغولي اتيلا ، في زحفه نحو الشرق ، هذه المملكة ، ثم غزاها المسلمون بعد ذلك في عام ٧٣٧ .

والرسائل المتبادلة بين حاكم المملكة والطبيب اليهودي

(١) الخازار شعب خليط من العنصر التركي الفلنلندي Turko-Finnish

حسدي بن شابروت ، احد مستشاري الخليفة الاموي الاندلسي عبد الرحمن ، تلقي نوراً على اوضاع هذه المملكة التي اتخذت اليهودية ديناً رسمياً لها .

واستناداً الى هذه الحقائق التاريخية ، فان وايزمن وسيلفر ينحدران باصلهما من سلالة الخازاريين ، الذين كانوا وثنيين قبل ان يعتنقوا اليهودية .

ولا نغالي اذا قلنا ان عدداً كبيراً من المسيحيين يجري في عروقه الدم العبراني الاسرائيلي القديم ، اكثر مما يجري في عروق فريق كبير من اليهود المفاخرين بعنصريتهم اليهودية .

والطريف في الامر ، ان العنصرية تلعب ، في اغلب الاحايين ، ادواراً مضحكة في مصائر البشر . مثالاً على ذلك ، ان قادة الصهيونية يقولون ان الشعب اليهودي ينتمي الى العنصر العبراني السامي .

والجدير بالذكر ، ان اكثر الشعوب العربية في الشرق الاوسط تنتمي الى هذا العنصر نفسه ، ولكنها لاتعتنق الديانة اليهودية . وهؤلاء العرب « الساميون » هم اشد اعداء الاسرائيليين الذين ادعوا ، باغتصابهم فلسطين ، انهم عادوا الى « وطنهم العنصري » . هذا ، ولا يفوتنا ان نذكر ان الملك ابن سعود عاهل المملكة العربية السعودية ، يعتبر نموذجاً حياً للسامية الحديثة لانه ينحدر من سلالة ابراهيم .

واستناداً الى دراسات علماء الجنس البشري ، يمكننا ان نؤكد ان اليهود ، حيثما وجدوا ، فانما هم يشابهون الاشخاص

الذين يعيشون واياهم في بيئة واحدة .

ولهذا فليس هناك من ميزة مشتركة تربط يهود العالم . وفي رأي العلاّمة « فانيسبرغ » ان هناك طابعين مشتركين بين اليهود ، البشرة السمراء والانف المدبب . وهاتان الميزتان ، تختصان باليهود القاطنين في حوض البحر المتوسط . اما اليهود الذين يسكنون شرقي اوروبا ، والمعروفون بالجنس « التوتري – الخازاري » فهم يتميزون بالانف الغليظ واللون الاشقر .

وعندما زرتُ القدس ، لاول مرة عام ١٩٤٤ ، استرعى انتباهي بصفة خاصة ، هذا الخليط من الاجناس الذي يتألف منه يهود فلسطين ، واستطعت بسهولة كلية ، ان اميز بين يهود « الاشكنازي » البولونيين ويهود شمالي افريقيا والمانيا . لان الاختلاف لم يكن مقتصراً على الجنس ولون البشرة فحسب ، بل تعداه الى الزي واللغة والعادات والعقلية .

ويؤلف يهود العراق حوالي عشر سكان اسرائيل حالياً ، ولا يفوقهم في العدد الا يهود بولونيا ورومانيا . ومنذ ان استقر بهم الحال هناك ، وهم يشكون ويتذمرون من التدابير الشاذة التي أتخذت بحقهم ، ومن تفضيل يهود اوروبا واميركا عليهم .

وفي تموز عام ١٩٥١ ، قام هؤلاء اليهود العراقيون بتظاهرة كبيرة في تل ابيب ، احتجاجاً على التدابير العنصرية في اسرائيل التي تعتبر فريدة في نوعها . وكذلك كان الحال مع يهود شمالي افريقيا واليمن .

وعلى الرغم من كل هـذا التفاوت ، والتناقض الظاهر في الاجناس والعناصر ، التي تتألف منها اسرائيل ، فما زالت هذه الدولة تكافح في سبيل بقائها ، مستندة بوحدتها على بدعة « السامية » وخرافة العنصرية اليهودية !

ظلال وجوه..

*

لم تكن فلسطين وحدها هي التي قُسمت ، بل شمل داء التقسيم يهود اميركا انفسهم ، وشطرهم الى شطرين بفضل تلك السياسة الخاطئة .

وقد أثارت الوكالة اليهودية قضية ، لم يجرؤ أحد من اليهود على اثارتها بهذه الصراحة والتحدي ، وهي قضية المواطنين الاميركيين اليهود ، وازدواج اخلاصهم لدولتين معاً (اسرائيل اولاً واميركا ثانياً) . فان الوكالة اعترفت في أحد تقاريرها الرسمية بوجود مثل هذا « الازدواج » منذ ان قامت اسرائيل ؛ وقالت ان هناك عقبات جمة تعترض تطبيقه لمصلحة اسرائيل، خاصة عندما تتعارض مصالح اسرائيل وسياسة الدولة التي يعيش فيها المواطنون اليهود .

ومما قاله بن غوريون بهذا الصدد ، في اجتماع الجمعية التنفيذية الصهيونية بالقدس ما نصه : « من واجب الصهيونيين المنتشرين في أنحاء العالم ، ان يجدوا في نفوسهم الجرأة الكافية ، لكي يقفوا

بجانب اسرائيل ، حتى لو كانت حكوماتهم ضدها ! . »

ان من حق كل مواطن اميركي ان يعطف على اسرائيل ،ويمدّ لها يد المساعدة اذا شاء ذلك ، دون ان يلومه احد .

ولكن زعماء الصهيونية لم يكتفوا بهذه المساعدة او ذاك العطف ، بل راحوا ينشرون دعاياتهم الواسعة والعلنية بين يهود اميركا،يحضونهم على بذل المساعدات المادية والمعنوية لاسرائيل، والتوجه بالولاء والاخلاص لها اولاً واخيراً،لانهم يهود اسرائيليون قبل ان يكونوا مواطنين اميركيين .

وهذه القضية المؤلمة،هي التي اريد ان أعالجها الآن بصراحة تامة.

أريد ان اسأل :

هل يسمحُ يهودُ اميركا للصهيونية ان تنجح في فصلهم عن وطنهم الحالي اميركا ، لكي تجعل مصيرهم مرتبطاً رأساً بالخارج ، ولا علاقة له بمصير اميركا .. ؟

إن الصهيونية تأخذ قضية الايرلنديين او الفرنسيين القاطنين في اميركا ، حجة تدعم بها قضيتها .

ولكن هذه الحجة هي ضدها ..

لان الفرنسيين اولاً يؤلفون أمة ، بينما اليهودية ليست سوى دين لا يمت للسياسة بصلة . وفضلاً عن ذلك ، فلم تتجرأ الحكومة الايرلندية او الفرنسية ، على ان تطلب من رعاياها المستوطنين اميركا خيانة الدولة التي تحميهم ، او تطلب اليهم اي طلب من شأنه ان يتعارض وسياسة تلك الدولة .

امّا الحكومة الاسرائيلية فقد طلبت ذلك من اليهود

الاميركيين ،وبالحاح زائد، كأنه أمر مسلم به ، وواجب مفروض على يهود اميركا ، عليهم ان يخضعوا له دون مناقشة .

والكلمة الفاصلة في هذه القضية الدقيقة،هي في ما اعلنه الرئيس الاميركي ودرو ويلسن منذ اربعين سنة عندما قال :

« لا يمكنك ان تصبح اميركياً صحيحاً ومخلصاً ، اذا كنت تعتبر نفسك تنتمي الى طائفة معينة ، لان اميركا لا تضم طوائف وجماعات متفرقة . فالرجل الذي ما زال يعتبر نفسه ينتمي الى جماعة معينة، لم يصبح اميركياً صحيحاً بعد. وان الذي يأتي اليك ليتاجر بوطنيتك عن هذا الطريق ، لا يستحق ان يظلله العلم الاميركي ويحميه .. »

وعلى الرغم من هذا القول الصريح ،يطلقه احد رؤساء الجمهورية الاميركية ، فما زال في الولايات المتحدة فريق من الصهيونيين واليهود المتهوسين ، يملك الجرأة الكافية ليعلن صراحة وفي اميركا ما نصه : « لا شك ان العلم الاسرائيلي هو علم دولة اجنبية وان اللغة العبرية هي اجنبية ايضاً ، ومع ذلك فهذه الاشياء تخصنا ونتمسك بها،لان مستقبل اليهود مرتبط ارتباطاً وثيقاً باسرائيل.»

وبالفعل أبدى الصهيونيون الاميركيون ولاءهم وتمسكهم باسرائيل ، على الرغم من ان هذا التمسك وذاك الولاء كانا يضران بمصالح الولايات المتحدة .

وهذا ماحدث في عام ١٩٤٨، عندما باشرت الولايات المتحدة بتحقيق مشروع مارشال لانعاش أوروبا اقتصادياً وعسكرياً .

وكانت بريطانيا في مقدمه هذه الدول الاوروبية التي تحتاج

للانعاش ، لما تحملته من خسائر جسيمة طيلة سني الحرب الاخيرة .

لقد كان من الطبيعي ،ان تقوم الاحزاب الشيوعية في بريطانيا وفرنسا، ببذل جهود جبارة لعرقلة تحقيق هذا المشروع ،بالاضافة الى العقبات التي وضعها الروس أنفسهم لعرقلة عمليات الانعاش هذه ، ومنها ضرب الحصار الجوي على المانيا الغربية .

أمّا ان يقوم الصهيونيون في قلب اميركا ، بمحاولات جدية لاثارة الرأي العام الاميركي ، السهل الانقياد ، لمقاطعة البضائع والمنتجات الصناعية البريطانية ، وان تتضافر جهود جميع المظمات الصهيونية الاميركية بنشر الدعايات الواسعة ، لتشديد هذه المقاطعة ، فانه ضرب من أعمال التخريب « سابوتاج » يعرقل مصلحة اميركا العليا .. ولا يختلف في نتيجته عن الاعمال التي كان يقوم بها الشيوعيون في اوروبا ! اذ بينما كانت ملايين « العم سام » تتدفق من الخزائن الاميركية لانعاش وضع حليفته العزيزة « بريطانيا » المالي ، وتسوية ميزانها التجاري كانت الصهيونية تتعمد عرقلة هذا العمل ، لتحرج موقف بريطانيا وترغمها على تبديل سياستها في فلسطين .

امّا تدخل الصهيونية في شؤون اميركا السياسية ..

فقد حدث ذلك عندما اثيرت قضية اعادة تنظيم المانيا الغربية من الوجهتين العسكرية والسياسية ، لتكون حاجزاً منيعاً في وجه التيار الشيوعي الرابض في الطرف الآخر من برلين .

لقد كان مجرد التفكير بتسليح المانيا كافياً ، لكي تقوم له قيامة اليهود الاميركيين ، وبالتالي قلق دولة اسرائيل الناشئة ،

فقد راحت الصهيونية تدخل في اذهان ساسة واشنطن ،ان تسليح المانيا سوف يؤلف خطراً يتهدد اليهود عامة واسرائيل خاصة .

ولذلك ، فعندما وُقعت معاهدة الصلح بين الحلفاء والمانيا الغربية ، ارسلت اسرائيل الى واشنطن مذكرة شديدة اللهجة ، تحتج فيها على توقيع مثل هذه المعاهدة .

وهناك حادثة اخرى ايضاً ... حدثت في نهاية عام ١٩٤٩ .

كانت قضية تدويل القدس آنذاك ، ماتزال موضوعة على جدول اعمال الجمعية العمومية لهيئة الامم المتحدة ، وكان وزير خارجية اسرائيل موسى شاريت قد حضر الى الولايات المتحدة بنفسه ، لمناشدة « اليهود » كي يمدوا يد المساعدة لانقاذ وضع اسرائيل وبذل النفوذ والجهود لعرقلة قرار تدويل القدس . وبالفعل نشطت المنظمات الصهيونية واليهودية للعمل ، وراحت تطرق ابواب اعضاء الكونجرس ، ونظارة الخارجية ، ومندوبي الولايات المتحدة في هيئة الامم ، لاقناعهم بعدم تدويل المدينة المقدسة .

وفي اثناء مناقشة القضية في هيئة الامم ، وقبل طرحها على التصويت ، وقفت الولايات المتحدة الى جانب اسرائيل ، ضاربة بحرمة الاماكن المقدسة عرض الحائط . ولكن ما ان طرح قرار التدويل على التصويت في الجمعية العمومية ، ونال الاكثرية المطلوبة ، حتى تراجعت الولايات المتحدة عن قرارها ، واعلنت تمسكها بقرارات الاغلبية .

وامعاناً في احتقار قرارات هيئة الامم المتحدة ، راح بن غوريون يعلن في تل ابيب ،ان دوائر حكومته ستنتقل الى القدس

لتتخذ منها عاصمة لدولة اسرائيل .

كما قامت في اميركا المنظمات الصهيونيـــة تؤيد سياسة بن غوريون ،وتصرح علناً بان اليهود الاميركيين يناصرون اسرائيل في كل الخطوات التي تتخذها للدفاع عـــن المدينة المقدسة .

والمدهش حقاً ،ان زعماءالصهيونية نجحوا في اقناع الاميركيين المسيحيين ، وفريق كبير من ساسة اميركا ، ورجال الصحافـة فيها ، بان لليهود معتقدات خاصة ، تختلف كل الاختلاف عـــن المعتقدات الاميركية . وهذه المعتقدات ، تفرض عليهم العزلة والتكتل كطائفة منفردة ضمن البيئة التي يعيشون فيها .

وعلى الرغم من ان الرئيس ويلسن ، قال كلمته المأثورة : « ان اميركا لا تتألف من طوائف وجماعات بل من أمة واحدة » فما زالت الصهيونية الاميركية مقتنعه ، بان لها مصيراً خاصـاً ، يفضل على مصلحة اميركا نفسها . وعلى الرغم من خطورة هـــذا الاعتقاد،فانه متأصل في تاريخ اليهودية الاميركية يصعب إزالته .

وقد نشأت عنه تجربة جديدة ، مزجت بعنصرين متنافرين هما : جوهر الدين وظلال الوطنية .

فان الدين في نظر الرجل اللاهوتي ، معتقد مستمد من ما وراء الطبيعة ، يتصل بأصل الكون ، ومعنى الحياة البشريـة . وبمعنى أوضح ، انه يتناول اعتقاد الانسان بقوة جبابرة ، غـير منظورة ، تسيّر الكون ، ويتوجب عليه احترامها وتقديم فروض العبادة لها .

وعلى هذا ، فان اليهودية هي معتقد ديني ، ولكنْ ، قليلون هم الذين يعتبرون انفسهم يهوداً ينطبق عليهم هذا التعبير .

ولا جدال بان الصهيونية عرّضت الديانة اليهودية ، لأخطار جسيمة ، عندما لجأت الى تحويل اتجاهاتها الدينية المتأصلة في قلوب يهود العالم ، الى فكرة سياسية . ولايمكننا الآن ان نعرف نتائج هذا التحويل ، واخطاره على هذه الديانة ،وما اذا كانت ستتمكن من ان تعيش كقوة دينية ، ام انها ستزول من الوجود بعد ان حقق دعاة الصهيونية أغراضهم بواسطتها .

إن في كلمات النبي ميخا عبرة لاولئك الذين يريدون دفن اليهودية ، ثم ذرف دموع التماسيح عليهـــا ، وجمع الدولارات على جثتها ، لانعاش وطنيتهم اليهودية الزائفة والزائلة .

لقد قال النبي ميخا :

« قد اخبرك ايهـا الانسان مـاهو صالـح
وماذا يطلبه منك الرب الا ان تصنع الحقَ وتحب
الرحمة وتسلك متواضعاً مـع إلهك » .

وكذلك في كلمات النبي اشعيا اذ يقول :

هكذا قال الرب . احفظوا الحق واجروا
العدل . طوبى للانسان الذي يعمل بهـذا
وطوبى لابن الانسان الذي يتمسك بـه »

والحق يقال ، ان هذه التعاليم ، هي الاهداف التي لم تحققها اليهودية كدين ، ولهذا فالحاجـــة اليها ملحّة لانعاش اليهودية روحياً ، خاصة في هذا الزمن .

لقد اصبح الآن ، بامكان اليهود الذين يتمسكون بقيام دولة

مستقلة ، ان يذهبوا الى اسرائيل ؛ على ان يترك الخيار لكل يهودي اميركي ، بان يحتفظ بجنسيته الاميركية ويهوديته كعقيدة دينية فقط او ان يكون مواطناً اسرائيلياً من رعايا الدولة اليهودية في الشرق الاوسط .

امّا ان يبقى اليهودي في اميركا يدين بالولاء لاسرائيل ويحمل جنسيته الاميركية ،فهذا ما لا تقبله الوطنية الصحيحة ولا المنطق السليم .

ان من واجب اليهود الاميركيين الذين يفضلون مصالح اسرائيل على مصلحة الولايات المتحدة العليا، ان يسرعوا بالرحيل الى اسرائيل ، لانها الطريقة الشريفة الوحيدة، التي يجب ان يسلكوها.

اما اليهود الاميركيون الذين يتمسكون بشعائر دينهم الصحيحة ويريدون ان يمارسوها بحرية ، فيمكنهم العيش في هذه البلاد (اميركا) شرط ان يقطعوا جميع علاقاتهم بالصهيونية واسرائيل . لان اليهودية لا يمكنها ان تعيش ، الا عندما تقطع نهائيا علاقتها باسرائيل وتتحرر من قيودها .. كما تحررت البروتستانتيه الاميركية من انكلترا .

***

ولابد لي قبل ان اختم كتابي ، من توجيه بعض النصائح المخلصة الى المسؤولين بدولة اسرائيل ، ومن ورائهم الصهيونيين المندفعين وراء خرافة العنصرية اليهودية. وهذه النصائح هي حقائق ناصعة مستمدة من الواقع المجرد لوضع اليهودية واسرائيل معاً .

إنّ اسرائيل محاطة بملايين العرب من كل جهة ، فمن واجبها

ان تأخذ درساً لم يتعلمه يهود فلسطين من قبلها ، وهو ان وضعها الجغرافي يحتّم عليها ان تعيش بوئام وصداقة مع جيرانها العرب لتتمكن من الاستمرار في الحياة .لان العرب مازالوا حتى اليوم، يعتبرون انفسهم في صراع مستمر مع اسرائيل والصهيونية ، التي اساءت اليهم ، بما قامت به من وحشية وارهاب ، وتشريد مليون عربي ، واغتصاب ممتلكاتهم . والقضايا التي على اسرائيل ان تعالجها في الوقت الحاضر ، لاقرار السلام في الارض المقدسة هي :

اولا : تجنب الوقوع في نفس الاخطاء الماضية .

ثانياً : الاقلاع عن مطالبة يهود العالم ، وخاصة يهود اميركا ، بالاخلاص لدولة اسرائيل ، لان الدولة التي لا تقف سيطرتها عند حدودها الطبيعة ، ليست دولة طبيعية ولا يمكنها ان تعيش بوئام وسلام مع جيرانها .

ثالثاً : على اسرائيل قبل كل شيء ان تنفذ قرارات هيئة الامم المتحدة ؛ وأهم هذه القرارات انشاء نظام دولي للاشراف على القدس ، وتسوية قضية اللاجئين العرب ، والتعويض عليهم ، لأن على اسرائيل وحدها تقع مسؤولية تشريد اللاجئين العرب ، ومن واجبها الانساني ان تخفف من ويلات هؤلاء التعساء المشردين .

وعن هذه الطريق وحدها ، يمكن لليهود ان يعيشوا في سلام وصداقة دائمة مع العرب ، بعد ان يُقضى على اصوات المتهوسين الصهيونيين الناشزة المطالبين بالتوسع في البلاد العربية ، لاشباع اطماعهم ، وشهواتهم في رؤية الدماء تسيل من جديد انهاراً في الارض المقدسة !

المحتويات

•

ملتزم الطبع والنشر

مكتبة المثنى — بغداد

•

يطلب الكتاب من الخارج من وكلائنا :

مكتبة الخانجي — مصر - السودان
مكتبة الثقافة — مكه المكرمة
مكتبة الثقافة — الطائف
مكتبة النجاح — تونس
مكتبة الطلبة — الكويت
المكتبة الوطنية — البحرين
المكتبة العمومية — المملكة الاردنية الهاشمية

يوزع في جميع البلاد العربية بواسطة :

المكتب التجاري
للطباعة والتوزيع والنشر

بيروت ص . ب ٢٦٦٨ — تلفون ٢٤٥٠٣

ثمن اسرائيل

• الكتاب الذي اعترف كل من قرأه بأنه أجرأ وثيقة ظهرت حتى اليوم عن دسائس الصهيونية المجرمة .

• من أجل هذا الكتاب حرّم على مؤلفه اليهودي دخول اسرائيل . كما تعرض مراراً لمحاولة الاغتيال .

• كتب ناقد صحيفة نيويورك تايمس الاميركية عنه يقول: « مما لا شك فيه ان هذا الكتاب سيزيد « ضغط الدم » عند الكثيرين من قرائه اليهود ! ! »

توزيع المكتب التجاري - بيروت

الثمن ١٠٠ ق.ل. او ما يعادلها

مطابع دار الكشاف - بيروت